بسم الله الرحمن الرحيم

شعارنا الوحيد إلى الإسلام من جديد

المجلد ٦٣

البعث الإسلامي

مجلة إسلامية شهرية جامعة

December 2017 — ديسمبر ٢٠١٧م

العدد السابع - المجلد الثالث والستون — ربيع الأول ١٤٣٩هـ

أنشأها

فقيد الدعوة الإسلامية

الأستاذ محمد الحسني رحمه الله تعالى

في عام:١٣٧٥هـ -١٩٥٥م

ندوة العلماء

تأسست ندوة العلماء ودارالعلوم التابعة لها على مبدأ التوسط والاعتدال، والجمع بين القديم الصالح والجديد النافع،وبين الدين الخالد الذي لا يتغير، والعلم الذي يتغير ويتطور ويتقدم ، وبين طوائف أهل السنة التي لا تختلف في العقيدة والمنصوص، وقامت من أول يومها على الإيمان بأن العلوم الإسلامية علوم حية نامية ، وأن منهاج الدراسة خاضع لناموس التغير والتجدد ، فيجب أن يتناوله الإصلاح والتجديد في كل عصر ومصر، وأن يزاد فيه، ويُحذف منه بحسب تطورات العصر، وحاجات المسلمين وأحوالهم.

الإمام العلامة الشيخ السيد أبوالحسن علي الحسني الندوي (رحمه الله)

رئاسة التحرير

سعيد الأعظمي الندوي

واضح رشيد الندوي

مساعدا التحرير:

محمد فرمان الندوي

محمد عبد الله الندوي

المراسلات

البعث الإسلامي

مؤسسة الصحافة والنشر

ص.ب.٩٣ لكناؤ (الهند) الفاكس: ٢٧٤١٢٢١-٢٧٤١٢٣١ — ٠٥٢٢

AL-BAAS-EL-ISLAMI

MAJLIS - E - SAHAFAT -WA- NASHRIYAT P. O. BOX: 93 Taigor Marg, Lucknow. Pin:226007 U. P. (India) Fax: 0522-2741221,2741231

Mob: 9889336348, 8400476826 Email: albaas1955@gmail.com

محتويات العدد

العدد السادس - المجلد الثالث والستون – محرم – صفر ١٤٣٩هـ

❖ الافتتاحية :

المسلمون بين الأمس واليوم ! — سعيد الأعظمي الندوي — ٥

❖ التوجيه الإسلامي :

رسالة الأنبياء : وحاجة الإنسانية إليها — سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن الحسني الندوي — ١٠

المجتمع الإسلامي : حدوده وآدابه — العلامة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي — ١٧

البلاغة والإعراب والبيان في القرآن الكريم — معالي الشيخ الدكتور راشد عبد الله الفرحان — ٢٤

❖ الدعوة الإسلامية :

عالمنا اليوم بحاجة إلى ثقافة الروح !!! — الشيخ الطاهر بدوي الجزائري — ٣٢

دعائم النجاح في الدعوة الإسلامية — الأستاذ صفاء الدين محمد أحمد — ٤١

رسالة ميلاده صلى الله عليه وسلم — الدكتور محمد شهاب الدين الندوي الأزهري — ٤٤

❖ الفقه الإسلامي والقضايا المعاصرة الحديثة :

فقه الأقلية وأبعاده الدينية والاجتماعية — د . جمال الدين الفاروقي — ٥٠

❖ دراسات وأبحاث أدبية وتاريخية :

إطلاق كلمة " المُسنِد " في مصطلح الحديث — الأستاذ أبو أنس رفيع الله المروتي — ٥٦

الوقف في الهند ، نظامه ووضعه في عهد السلاطين — د . محمد شاهجهان الندوي — ٦٨

المعجمية العربية : وصف ونشأة وأنواع — د . قمر شعبان الندوي — ٧٨

مزايا وفوائد الرسم العثماني — الأخ لقمان الحكيم بن شافي — ٨٤

❖ صور وأوضاع :

تغيُّر منابع القوة العالمية — الأستاذ محمد واضح رشيد الحسني الندوي — ٩٢

❖ إلى الإسلام من جديد :

إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت — محمد فرمان الندوي — ٩٦

❖ قرأت لك :

١. مفردات القرآن للعلامة السيد سليمان النّدوي — الأخ محمد معصوم السيفي — ٩٨

٢. المدارس والجامعات وأثرها في المحافظة على الشخصية الإسلامية — الأخ محمد حمزه خان — ٩٩

❖ إلى رحمة الله تعالى :

١. الأخ محمد فيضان الندوي إلى رحمة الله تعالى — قلم التحرير — ١٠١

٢. الشيخ إدريس أحمد الندوي في ذمة الله تعالى — " " " — ١٠١

٣. الحاج غني أحمد والد الشيخ عقيل أحمد الأعظمي إلى رحمة الله تعالى — " " " — ١٠٢

٤. والدة الدكتور مسعود الأعظمي إلى رحمة الله تعالى — " " " — ١٠٢

الافتتاحية

بسم الله الرحمن الرحيم

المسلمون بين الأمس واليوم !

يتعرض المسلمون في بعض أجزاء العالم وبلدانه لأحداث مأساوية تجرح القلوب وتملؤها يأساً وتحسراً ، يبدو كأن الانتماء إلى الإسلام أصبح جريمة لا تغتفر ، فلا مناص من اقتلاع جذورها بأي طريق ممكن ، فإذا كان بعض الشعوب المتعرية عن نعمة العقل الحضاري ومتسرعاً في محاولته للتصفية العرقية من غير رؤية عقلانية وبدون تفكير فيما يؤول إليه من نتائج سلبية على المستوى العالمي لجميع المجتمعات البشرية التي تعم فيها كراهية جنس الإنسان من غير استثناء ، فلا ريب أن ذلك يؤدي إلى خسائر إنسانية فادحة لا ترتق فتقها بسهولة ، وقد شهد هذا التاريخ نماذج من هذا النوع في أمسه القريب والبعيد ، ولقد تحدث الله سبحانه خالق الأكوان والإنسان عن هذا النموذج العجيب فقال : (لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَـئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ) .

وقد وجد هذا النوع من البشر في كل زمان ، ذاك أن فئة من الناس لم توفق إلى استخدام الطبيعة المفطور عليها في كثير مما خلقه الله تعالى لتربية الأجيال وتعريف هذا الكون الهائل بجميع ما يحويه من ذخائر وثروات أرضية وسماوية وكنوز من الطاقات الظاهرة والباطنة ، إن هذه الفئة من بني آدم ظلت تحوم حول الظواهر المادية ولم يسبق إليها علم بالغاية الأصيلة المتوخاة من خلق الإنسان والكون والحياة ، فلم يخطر ببال أهلها وأعضائها العائشين معها أن يفكروا في الحقائق الكونية وظواهر الآيات المتجلية في الأرض والسماء ، والبحور والجبال وما فيها من طاقات أودعها الله سبحانه لكي يستغلها الناس في صالح أغراض الحياة ، وتأخذ منها الموجودات الكونية كلها حظها مما يغذيها ويمهد لها الطريق نحو بناء مستقبلها .

وكان وجود الإنسان في هذه الكائنات كأشرف خلق زوده الله تعالى بالعقل ، بمثابة رابطة قوية لإيجاد الصلة بين الخلق والخالق ، وإثارة العقل البشري للتفكير في تلك القوة الغالبة الباهرة الهائلة التي تولت خلق هذا الكون وما فيه من آثار ذات إعجاب وأعجاب تحير العقول وتدهش النفوس ، وتحقيقاً لهذا الغرض الأصيل العميق بعث الله سبحانه جماعات من الأنبياء

والمرسلين ، كلاً في محيطه وقومه ، فمن آدم إلى نوح عليهما الصلاة والسلام أجيال كثيرة تمردت على دعوة الأنبياء ورفضت تلك النصائح الغالية التي وُجّهت إليها لمعرفة الصلة الدائمة بين الخلق والخالق ، وكمثال فقط (كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ . إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلاَ تَتَّقُونَ. إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ. فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ . قَالُوٓاْ : أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلأَرْذَلُونَ . قَالَ : وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ . إِنْ حِسَابُهُمْ إِلاَّ عَلَىٰ رَبِّى لَوْ تَشْعُرُونَ . وَمَآ أَنَاْ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ . إِنْ أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ مُّبِينٌ . قَالُواْ : لَئِنْ لَّمْ تَنْتَهِ يٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ . قَالَ : رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ . فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحاً وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ . فَأَنجَيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ . ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ) .

هكذا شأن كل نبي وقومه ، عدد قليل ممن اهتدوا إلى فطرتهم، ولكن الأعم الأكثر لم يدركوا ما أريد لهم من خير كبير ، فلم يرضوا بالخضوع أمام دعوة أنبيائهم ، حتى انتهى أجل أولئك المتكابرين وغادروا إلى آخرتهم بأسوء حال ، كما كان مع قوم لوط عليه السلام ، لما دعاهم إلى التقى والطاعة (قَالُواْ : لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ) ، فدمرهم الله تعالى وأهلكهم شر هلاك .

أما خاتم الرسل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فقد اختاره الله تعالى شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ، فبلغ الرسالة وأدى الأمانة ولم يبال بما واجهه من قومه من محن شديدة وبلايا عظيمة بلغت من فوق طاقة البشر إلى النهاية ، ولكن الله سبحانه وتعالى أكرمه بالصبر على الأذى مهما بلغ إلى آخر المدى، وأحاطه برعاية السماء وصيانة كلمة التوحيد ، فرافقه التوفيق الرباني وقوة الإيمان بالله ، فأعلن مدوياً مجلجلاً وقال ما أمره به ربه (قُلْ يٰأَيُّهَا ٱلْكَافِرُونَ . لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ . وَلاَ أَنتُمْ عَابِدُونَ مَآ أَعْبُدُ . وَلاَ أَنَاْ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ . وَلاَ أَنتُمْ عَابِدُونَ مَآ أَعْبُدُ . لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ).

ومنذ ذلك الإعلان الواضح الصريح ، قام بالدعوة إلى الله تعالى بكل شجاعة ومن غير خوف ولا روعة ، وذلك بالرغم مما وجه إليه أعضاء الكفر من تهديدات وتخويفات من كل نوع ، وظل دين الله تعالى يتسع نطاقه ويتكاثر عدد المعتنقين بدين الله ، والداخلين في كنف رحمة الله تعالى ، حتى آذن الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بالهجرة إلى يثرب المدينة ، وما هي إلا مدة قليلة إذ فتح الله سبحانه الطريق إلى نصره والفتح لدينه ، وبدأ الناس يدخلون في دين الله أفواجاً حتى انتشر المسلمون في أنحاء العالم ، وفتحت

مدارس العلم والحكمة في عواصم الخلافة الإسلامية ، تخرج منها أجيال للدعوة إلى الله تعالى ، وتعلم في تلك المدارس والمراكز العلمية رجال أتقنوا أنواعاً كثيرة من العلوم والمعارف في ضوء كتاب الله وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقدموا نماذج عالية من علماء الإسلام وحكماء العلم وقادة حكمة الدعوة ، فإذا بالتاريخ الإسلامي يتزين بالوسطية والعلم والعدل والاتزان مع تمثيل النموذج الأعلى من التعمق في حقيقة الحياة الإنسانية وأسرار الكون العلمية والحكمية ، وفي آيات قدرة الله تعالى في الكائنات الواسعة ، وما بين السماوات والأرض من آثار باهرة ظاهرة وخفية ، أولئك هم الذين سماهم الله تعالى بـ " أولي الألباب " (إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلأَرْضِ وَٱخْتِلاَفِ ٱللَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُوْلِي ٱلأَلْبَابِ . ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ) .

وذلك هو الجيل المثالي من أولي الألباب ممن أبلغهم الله تعالى إلى بقاع من الأرض كانت تعيش في الغابات ولم تكن تتمتع بالعقل الساهر ، ولا كانت قد رأت النور ، فأيقظوها وأخرجوها إلى نور العلم والإيمان ، ولقنوها دروساً من العقل والحكمة ، بعد ما مرت عليها قرون من الوحشية ومن ظلام الجهل والبهيمية من بعد طلوع شمس الإسلام الساطعة ، فلولا الإسلام وتعاليمه وعلومه وآدابه وتعاليمه الخلقية والإنسانية لما كان في العالم البشري النائم علم وحضارة ولما عرف الإنسان معنى الترابط الاجتماعي والتواصل الحضاري ، وذلك هو الإسلام الذي صنع الإنسان الكامل من دينه الكامل وأتم نعمته عليه .

لكن سرعان ما تناسى أولئك الذين دانهم الإسلام من نعمته ، ونهضوا بالدعوة إلى الحضارة وقاموا بالادعاء بأنهم أثاروا دفائن العلم والمعرفة ، وتناسوا ما أسدى إليهم المسلمون العلماء والحكماء بتراث الإنسانية والمعارف المدنية ، وزعموا أنفسهم من المبتكرين لكل ما وجد في العالم البشري من تطورات حضارية وعلمية ، وبذلك حاولوا إسدال الستار على الحقائق التاريخية الصارخة ، واتهام المسلمين بأنهم ليسوا إلا عالة على الغرب في جميع العلوم والصناعات والتقنيات ، وأن الإسلام لم يعد صالحاً في عصر الحضارات والتطورات الإنسانية ، الواقع الذي خلف تأثيراً معادياً على الحضارة الإسلامية ، وصرف حتى أنظار المسلمين من جامعة الحضارة والمدنية التي ليست إلا جائزة ممن خلق العالم البشري وزينه بكل ما يساعده

على القيادة العالمية رغم تغيرات الأوضاع وحداثة الآليات والمدنيات .

رغماً من كل ذلك والاعتراف بهذه الحقائق المعلومة تأثرت مجتمعات المسلمين بهذه الدعايات الكاذبة ، وبدأ الانحطاط بكل مواصفاته ووسائله يطرأ على عقول أفراد المجتمع المسلم ، وتوصل إلى ما دفعهم نحو مركب نقص نحو الإسلام وحضارته ، وساد الظن في كثير من الأحيان على الأفكار الحية النشيطة بأن العالم المعاصر يملك من الوسائل والآلات ما يمنح المرء الجدارة بالعيش في كرامة وسعادة في كل زمان ومكان ، وهكذا استطاعت روح التباعد عن الدين تتدخل في حياة المسلمين ومجتمعاتهم وبلغوا من الضعف والتبعية بل العبودية والرق إلى آخر المدى ، حيث بدأ يتحكم عليهم عبيد الأهواء والشهوات الذين يرون شريعة الإسلام عائقاً كبيراً في طريق أنشطة غير شرعية وحريات غير إنسانية مما لا يمت إلى كرامة الإنسان بأي صلة .

وقد يدخل نوع من اليأس والجمود في صف هذه الأمة الواحدة وأفرادها الذين افترستهم الفرقة والانشقاق ، الأمر الذي جعل صلتهم بدينهم ونظام شريعتهم ضعيفة ، وحلت محل القيم الإيمانية والخلقية استهتارات وتفككات ، وقلة المبالاة بالعمل بأوامر الدين وأحكام الشريعة ، مما جعلهم مهانين أذلاء وضعفاء أشقياء على جميع المستويات ، وما جرى ويجري في عدد من البلدان الإسلامية العريقة في تاريخ الإسلام من أوضاع شاذة وجرائم وحشية من خلال القائمين عليها وإتاحة الفرص منهم لذوي الأغراض الرخيصة لتدمير أهلها المسلمين وطرد أبنائها من ديارهم وأوطانهم ، ومطاردة أهل العلم والتقى ، كل ذلك مرّ ويمرّ بشيئ كثير من الوقاحة والحيوانية الشرسة التي قلما يوجد لها نظير في تاريخ الإنسان المعاصر ، وهي جريمة لا يغتفرها التاريخ البشري المستقبلي ، وإنما يحتضنها للأجيال القادمة بصفحاته السوداء ، عبرة للعالم أجمع ، وحسرة على الأمة جمعاء .

هذه الأحداث التي لم تنته مسلسلاتها ضد الأمة المسلمة نذير خطر كبير على بقائها في مسيرتها الدعوية ، وهي تنبيه لحملة الدعوة إلى الله ومعلمي الدين ومتعلميه أن يأخذوا بأساليب الحكمة والتوجيه ، وفق هذه الظروف الخطيرة التي قامت فيها الأحزاب المناوئة كلها ضد هذا الدين المختار الدائم من عند الله تعالى لصالح الكون والإنسان والحياة ، فيُعدوا للعمل الإسلامي بطريق أفضل ، ينسجم مع الطبائع المختلفة وذلك في ضوء قول الله سبحانه : (ٱدْعُ إِلِىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِٱلَّتِى

هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) .

ولا ريب فيما إذا كان الدعاة إلى الله ملتزمين بتمثيل النموذج العملي الإيجابي ، وإثبات أن الإسلام هو الملجأ الأول والأخير للناس في كل زمان وللإنسانية بكاملها في كل مكان ، لكانت هذه الحقائق الثابتة معروفة لدى الجماعات المعادية ومناوئي المسلمين ، ولكن هولاء وأولئك رغماً من ذلك ، يبذلون جميع ما عندهم من الإمكانيات والطاقات للقضاء البات على دين الإسلام وتشويه تاريخه كيفما أمكن ، ولولا أن استكانة المسلمين اليوم كانت معروفة لديهم لما تجرأوا أن يتوصلوا إلى حد ما حدث ويحدث في بلد دون بلد وفي مدن وعواصم كبريات دول الإسلام العريقة ، ومن بين هؤلاء من يتزيئ بزئ الإسلام ويشد عضد أعدائه مقابل دراهم معدودة أو مناصب مشئومة ، إلا أن الواقع الذي لا يكاد ينكره من له أدنى إلمام بالمشاريع الخبيثة التي يمارسها الغرب والموالون له ضد حضارة الإسلام وأمة الإسلام المنبثة في جميع أنحاء العالم ، والمحتلة المكانة الثانية في الاحصاء العالمي لسكان الكرة الأرضية ، إنما يتزايد عدد المهتدين إلى الإسلام في الغرب بوجه خاص .

إنها حقائق تفرض علينا جميعاً أن ننتبه إلى هذه المخاطر المتحلقة على رؤوسنا ، ونأخذ بالدفاع عنها ونعتمد على الدعوة إلى الله في كل حال وبحكمة مطلوبة وموعظة بليغة وبأسلوب الإقناع عملياً وبالتفاعل مع الخصوم حتى ننجح في المعركة الدائرة بيننا وبينهم بمشيئة الله تعالى .

(وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ) .

وعن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال : وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة بليغة ، وجلت منها القلوب ، وذرفت منها العيون ، فقلنا : يا رسول الله ، كأنها موعظة مودع ، فأوصنا ، قال : أوصيكم بتقوى الله ، والسمع والطاعة ، وإن تأمر عليكم عبد حبشي ، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً ، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين ، عضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل بدعة ضلالة . (رواه أبو داود والترمذي) .

وصلى الله تعالى على خير خلقه محمد وعلى آله وصحبه وبارك وسلم .

سعيد الأعظمي الندوي
١٤٣٩/٠٢/٠٥هـ
٢٠١٧/١٠/٢٦م

التوجيه الإسلامي

رسالة الأنبياء : وحاجة الإنسانية إليها

(الحلقة الأولى)

بقلم : سماحة العلامة السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي
تعريب : محمد فرمان الندوي

أسئلة الفطرة الإنسانية :

هناك عدة أسئلة عن فطرة الإنسان ، تثور حيناً لآخر في أعماق الضمير الإنساني ، فلا ترفض هذه الأسئلة بعوامل وأسباب ، ولا يغمض عنها العيون ، من الذي يدبر العالم ، وما هي صفاته ؟ وما هي علاقته بنا ؟ وماذا يحب وماذا يكره ؟ وما هي عاقبة هذه الحياة ؟ وما هي غاية هذا العالم ؟

هذه أسئلة فطرية وطبيعية ، والفطرة الإنسانية تستحق أن تسأل الإنسان الذي يعيش في هذه الدنيا : من خلقه ؟ ومن يدبِّر نظام الكون ؟ وإذا لم يطلع على صفاته فلا تكون علاقته القلبية ورابطته الذهنية به ، هذا ما نراه في هذا العالم ونشاهد أن الإنسان إذا لم يعرف سيرة الإنسان وأخلاقه فلا تكون علاقته به قوية ، كذلك إذا كانت معرفتنا ناقصةً بخالق الكون ، وربوبيته ورحمته ، وقدرته واختياره ، وسعة علمه ، ومحبته ورأفته وجلاله وجماله ، ولم نعرف صلتنا باللّٰه تعالى واحتياجنا إليه ، حال إقامتنا وبقائنا في هذه الدنيا ، لا تستحكم منه ، كما هو المطلوب .

فكان محقاً وجديراً بأن يسأل : ما هي متطلبات اللّٰه تعالى من سكان هذه الأرض ، فكان أول واجب لسكان هذه المملكة أن يطلعوا على قانون ونظام المملكة .

وكذلك يأتي ضمن الفطرة أيضاً أن يعرف الإنسان عن حياته : ما هي بدايتها ؟ وكيف تكون نهايتها ؟ لأن هذا السؤال لا ينتمي إلى المستقبل فقط ، بل له علاقة بالحال ، الذي تحاسب فيه الحياة الأولى ، ويجزى الإنسان بما عمل ، ويكون سلوك هذا الإنسان مختلفاً جداً عن الرجل الذي

يتصورها حياةً غير الحياة الأولى ، لأن هذا السؤال يحمل أهميةً كبيرةً في حياته هذه ، ولا مندوحة للتأخير في الرد عليه ، لأن تكويناً صحيحاً للحياة لا يترتب بدون حل هذه القضية .

هذه أسئلة أساسية في حياتنا يتوقف عليها مدار السعادة والنجاة وقضاء وجودنا ، ويكون أدنى خطأ وزلة سبباً في هلاكنا الأبدي ، وقد رُزقنا هذه الحياة لمرة واحدة فقط ، وهي أغلى متاعنا ، فلا يمكن أن تُقضَى في القياس والتخمين والامتحان والتجربة .

وهناك أسئلة أخرى سواها ، لا علاقة لها بحياتنا اليومية ، منها ما هي مكانتنا الأصلية ووجودنا في هذه الكائنات الطويلة والواسعة المنتشرة حولنا ، نحن تابعون أم مختارون ؟ مسئولون أو غير مسئولين ؟ وإذا كنا مسئولين فعند من ؟ وما هي مسئوليتنا نحوها ؟ وهل قوتنا وصلاحياتنا شخصية أو هي ملك للآخرين ؟ وما هو منهج استخدامها ؟ وما هي غاية هذه الحياة ومنتهاها ، هذه أسئلة تحتاج إلى إجابة فورية ، وهي أسئلة رئيسية .

منهجان للرد على الأسئلة :

فليس هناك إلا منهجان للرد على الأسئلة : أحدهما أن نرد عليها على أساس معرفتنا وتدبرنا ، لكن لا نستطيع أن نصل من هذا المنهج إلا إلى نتيجة أن لهذا الكون خالقاً ، فما هي صفاته ؟ لا يمكننا أن نجيب عليه بمعرفتنا الشخصية ، ولن تصل عقولنا في مضارب فكرنا وآفاق تدبرنا فوق القياس ، ولا يسع هذا الموضوع إلى القياس بأنه لا مشابهة بين الخالق والمخلوق .

ثم هناك سؤال آخر ، وهو ماذا يتطلب منا خالقنا ؟ وماذا يحب وماذا يكره ؟ نحن نرى ونشاهد أن نخطئ في معرفة رضا أصدقائنا وأقربائنا ، ورفقائنا وكراهتهم ؟ وتارةً تصدر منا أخطاء فاحشة ، فلا يمكن بالقياس تعيين ما يحب عالم الغيب والشهادة والذات التي تكون وراء حواسنا .

إن نتيجة معرفتنا وفهمنا ليست واحدةً ، وتشتبك النتيجة وتختلف ، فاستنبط رجل بفمهه ودرايته أن هذا الكون صنع بدون صانع ، ويسير بدون مسيِّر ، وينتهي بنفسه .

فلو كان عند أحد صانع له فلم يبق له علاقة بمخلوقاته ، وكان صانعه عند أحد هو المالك الحقيقي ، لكنه تنازل عن حقوقه الملكية على

الآخرين ، وهم يحكمون في مملكته .

كما اعتبر شخص كل شيئ في العالم كان نافعاً أو ضاراً ، اعتبره إلهاً ، وكل صاحب قوة حاكماً له ، وأوصله حواسه الظاهرة وعقله وفراسته إلى هذه النتيجة .

وكان الإنسان عند البعض حيواناً متطوراً ، يحمل ضروريات ، وتمنيات ، وهو حر وطليق ، وغير مسئول لازماً ، وقوته غير مقيدة ، وسلطته غير محدودة ، فليس لقانونه مأخذ إلهي ولا لعلمه معين غيبي ، فالدنيا عنده ميدان لمشاكل ومتاعب ، يحكم فيه قانون القوة ، وإن الأخلاق والخير والشر ، والحسن والقبح كلها كلمات مجردة لا روح فيها ولا حياة .

وإن ما قام به الحكماء والفلاسفة من قياسات وتدقيقات في الصفات بعد اعتراف عظمة الله تعالى ، وما نسبوا إليه من النقائص التي لا يحبون أن ينسبوها إلى أنفسهم ، من عجائبات العقل الإنساني .

والمنهج الآخر للجواب هو أن نعتمد فيه على جماعة أخرى ، لكن ينشأ سؤال عن هذه الجماعة ما هي ؟ فإذا كانت جماعة الحكماء يمكن أن يسأل عن تلكم الميزة التي يتميزون بها ؟ وما هي الذرائع العلمية عندهم لحل قضايا ما فوق الطبيعة ، وهم يعترفون بأن هذه القضايا لا تؤثر فيها الحواس ولا يتدخل فيها العقل ، ولا يعلمون عن مبادئ هذا العلم شيئاً ، فكيف يستحقون أن يوجهونا في هذا الأمر ، وكيف نعتمد عليهم ؟ ويمكن أن يقال حقاً :

" هَأَنْتُمْ هَؤُلاَءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ " (سورة آل عمران : ٦٦) .

فلم يبق الآن إلا هذه الصورة ، وهي أن نعتمد في هذه القضايا على الأشخاص الذين ليس علمهم قياسياً ، بل هو قطعي ويقيني ، فإنهم قد حصلوا على هذه العلوم والحقائق بالرؤية ، كما نحصل على علم المسموعات والمبصرات ، فصارت هذه الأشياء بديهيةً كما تكون كثير من الأشياء منظورة عندنا ، وقد نالوا حاسةً مزيدةً غير الحواس الإنسانية المشتركة ، ولا نسميها إلا حاسةً غيبيةً ، وهم يتلقونها من الله تعالى مباشرةً بأحكامه ومرضياته ، وهي جماعة الأنبياء والرسل .

لا تدعي الجماعات السابقة الذكر (الحكماء والفلاسفة) بعلومهم القطعية واليقينية ، ولا يدعون في هذا الأمر بمشاهدة ، ورؤية ، ففحوى أقوالهم ودعاويهم أنه سيكون مثل ذلك ، أو يمكن أن يكون ، أو أن مسلماتنا المشهورة (التي ليست بديهية وقطعية الثبوت) توصلنا إلى هذه النتيجة ، ولا يمكن أن يقولوا شيئاً سوى ذلك .

لكن الأنبياء يدعون بقطعية علومهم ، فلا يكتفون بهذا القول : إن الله واحد ، أو أن صفاته هي هذه ، بل يقولون مع ذلك أيضاً : نحن نسمع كلامه ، ونتكلم به ، ويصل إلينا رسالاته ، ويأتي إلينا ملائكته ، فلا يكون عندهم شيئ يقينياً وبديهياً كما تكون صفات الله تعالى ، وأحكامه ونبوته ورسالته كذلك ، فلا يتطرق إليهم شك في هذه الحقائق ، ولا يؤثر فيه كلام رجل وسماعه .

وحينما حاج قوم نبي (وهو إبراهيم عليه السلام) نبيه في الله تعالى وصفاته ذكر بكل بساطة الفرق بينه وبين المجادلين بدون دليل : وَحَآجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَـدَانِ (سورة الأنعام : ٨٠) ، وذكر هذا الفرق نبي آخر (وهو هود عليه السلام) قائلاً : قَالَ يٰقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَآتَانِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ (سورة هود : ٢٨) .

وورد عن نبي آخر (وهو محمد صلى الله عليه وسلم) : وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰ . إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْىٌ يُوحَىٰ (النجم : ٣ – ٤) ، وجاء عن هذه الرؤية : مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ . لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰ (النجم : ١٧ – ١٨) .

وقال : مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ . أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ (النجم: ١١ – ١٢) واقرؤوا حقيقة ما يعارض اليقين والمشاهدة : إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلأَنفُسُ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰ ، (النجم : ٢٣) ، وقال : وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ ٱلظَّنَّ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لاَ يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْئاً (النجم : ٢٨) .

لا يمكن تأويل الحياة بدون معرفة الوحي والأنبياء والرسل عليهم السلام :

رغم هذه الأسئلة ما فوق الطبيعة التي لا تتميز حياتنا من الحياة الحيوانية بدون رد عليها ، لا يمكن أن نقوم بتأويل حياتنا تأويلاً صحيحاً بدون توجيهات الأنبياء والرسل ، ولا نكتشف المركز الحقيقي والقانون الحكيم الشامل لنظام الكون ، الذي يجري في هذا العالم ، ولا تُري

حياتنا هذه وحدة متكاملة إذا رأيناها بأم أعيننا، بل كانت وحدة متشتتة، انتثرت صفحاتها ، ويمكن أن نقرأ بعض سطورها وعناوينها بدقة . إلا أن موضوع هذا الكون ، وخلاصة هذا الكتاب المفتوح ومعرفة منزلته بدون معرفة الأنبياء والرسل لا يجدي نفعاً .

وإن ما قام به الحكماء والبارعون في علم الطبيعة من دراسات ، وما اكتشفوه من حقائق الحياة ، وما سخَّروه من القوى الطبيعية من خلال علومهم وتجاربهم للإنسان وما دوَّنوا من علوم وفنون لكل جزء من الحياة وكل ناحية من نواحي الكائنات إنما هو مأثرة عظيمة من العلم الإنساني .

أما ما نراه ونشاهده هو أجزاء وكسور الحياة ولكن مجموعة هذه الكائنات، التي ليس فيها رابطة وليس لها منبع يعرف، من يدبِّر هذا الأمر؟ ومن ولماذا خلق هذا الكون ؟ وها هي غاية وجودنا ؟ هذه الأسئلة مهمة جداً عملياً ، فهذه المباحث أكثر تأثيراً على الأخلاق والمنهج ، وأصل وجهة الحياة التي هي سبب هذه المدنية وروحها ، لكنها تضاد موضوع الحكماء والماهرين في علوم الطبيعة ، إنهم لم يبدؤا رحلتهم العلمية من معرفة الخالق التي هي نقطة انطلاق ، فيكونون خاملي الذكر في الآفاق ، ولا يفكون ألغاز الحياة .

لكننا إذا سرحنا أطرافنا على هذا العالم في ضوء معرفة النبوة والوحي تجلى لنا كوحدة وبدا كنظام وحيد أعلى ، تتعاون أجزاؤه وتترابط فيما بينها ، وهي تنخرط في سلك واحد ، ويكون سيرها ونشاطها تحت خطة واحدة ، فلا تعارض فيها ولا تناقض ، والدنيا كلها ماكينة مرتبة ومتزنة ، تتحرك كل أدواتها في مكانها ، وتساعد أدوات أخرى ، أو أنه مصنع كبير تتحرك فيه آلاف من الماكينات ، وكل ماكنية لها علاقة بماكينة أخرى ، وجميع هذه الماكينات أو هذا المصنع بيد قوة ذات قدرة من الخلق والأمر ، يحركه خالقه تحت قانون ونظام .

اختلاف مناهج ووجهات الأنبياء والمحققين :

إن ما يوجد من اختلاف في هذا الكون من مناهج ووجهات الأنبياء والحكماء والمحققين ، نوضحه بالمثال :

تدخل في بلد طبقة العلماء والمحققين ، فتبحث هذه الطبقة في أن ما

هو موقع هذا البلد ؟ وما هي حدودها الأربعة؟ وكم فيه من بحار وجبال ؟ ومن أين تنشق هذه البحار ؟ وإلى أين تتجه ؟ وما مساحة البلد ؟ وما هي منتجاته ؟ هذه طبقة الجغرافيين .

وتدخل طبقة ، وتبحث في تاريخ عمارة البلد ، وما هي الآثار القديمة التي توجد في البلد ؟ وما هو تاريخه ؟ هذه طبقة المؤرخين والأثريين .

ويفتش بعض المحققين عن قيمة هذه الأرض ، فيشتغلون بالحفريات ويكتشفون عن معادنها ، هذه طبقة الماهرين في طبقات الأرض .

وبعض العلماء يؤسسون هناك مرصداً ، يدرسون من خلاله النجوم والأجرام السماوية ، ويقدرون مسافتها من الأرض ، ويتكهنون عن الزلازل والرياح المطرية . هذه طبقة علماء الطبيعة والهيئة .

ويؤسس بعض العلماء هنا مصنعاً كيمياوياً ، يمرون فيه بتجربة الأودية وخواصها ، ويقدمون دراسات جديدة بتجزئة وتحليل المفردات والمركبات المعدنية . هؤلاء الماهرون في علم الكيميا والنباتات .

وبعض العلماء يبحثون في لسان البلد ، ويدرسون أدبه ، ويضعون قواعد اللغة . هذه طبقة الأدباء وعلماء الألسنة .

وبعض العلماء يتفرجون على الخيال الجميل والفكر البديع بغض النظر عن المباحث الجافة ، ويتمتعون بالأزهار وأوراقها ومناظرها الطبيعية . ويبدون عنها انطباعاتهم ، هذه طبقة الشعراء .

وبعض العلماء يدرسون أخلاق سكان هذه المنطقة وعاداتهم وتقاليدهم وينتقدون ، ويكتشفون أن هذه العادات من أين تسربت إليهم ؟ وكيف نشأت ؟ وما هي العادات الصحيحة ؟ وما هي العادات التي تحتاج إلى إصلاح و تعديل . هذه طبقة علماء الاجتماع والأخلاق .

وبعض العلماء يقدمون خططاً لتطوير البلد ويبدون مقترحات عن توسعة البلد وتوفير الإمكانيات والوسائل لسكان البلد ، هؤلاء علماء المدنية .

هذه الطبقات كلها تشتغل بنشاطاتها وتقوم بأعمالها بكل شوق ورغبة .

ثم يدخل رجل آخر في المدينة ، ويمعن فيها النظر ، إنه يسمع ويرى كل شيئ ، لكن لا يشتغل بأي نوع من العمل ، فلا يهمه هذه الأسئلة : ما

هي مساحة البلد ؟ وما هو تاريخه ؟ وما هي المعادن التي توجد داخل الأرض ؟ وجميع الأسئلة التي كانت للطبقات المذكورة أعلاه لا تسترعي انتباهه .

أول وأهم سؤال عنده: من عمر هذا البلد الجميل الرائع ؟ ومن يحكمه ؟ ومن مالك سكان هذا البلد ؟ وما هو نظام الحكم فيه ؟ وما هي صلته بعمران البلد وحياته ؟ فإنه يطلع مباشرةً على قوة تنفيذية رفيعة ، ويستخبر أصولها وقواعدها ، ثم يُلقي نظرةً نقديةً على جميع شعب الحياة ، ويباشر كل ذلك متعلقاً بالأ صل وتحت غاية خاصة . وينشئ حياة جديدة ومرتبة بإصلاحها وتعاون منها . ويكون واسطة بين الحكومة والرعايا ، ويكون شارحاً لأحكام الله وترجماناً للحكومة ، فلا تعادل هذه الطبقات العلمية والتحقيقة مكانة هذا الرجل ، ويكون هذا البلد بدونه منتزهاً ومكاناً للتفرج .

في هذا العالم الذي هو ملك الله تعالى يختلف فيه منهج الأنبياء عن منهج الحكماء والمحققين ، فإنه لا ينتهي على اكتشاف الأسرار والحقائق للموجودات ، بل كان موضوعه : وجود الله وصفاته وأحكامه ، وتكون صفحات الكون أمامهم كما يكون أمام أصحاب النظر الآخرين . لكن أفكارهم لا تشتبك من شيئ ، ولا يربطون علاقتهم مباشرة من خالق هذا الكون فقط ، بل يرون آياته مفتوحةً في الأنفس والآفاق ، ويشاهدون سلطنته بحيث لا يرون في هذا الكون إلا حكمه وإرادته ، وتتجلى أمامهم قدرة الله تعالى ، فلا يرون نقصاً في قانونه ، ولا تحويلاً في نظامه ، ويعتبرون جميع مراتبه العالية خاضعةً ، وجميع قواه تابعة أمامه ، يؤثر فيه نظامه الغيبي في كل شيئ ، وجميع السماوات والأرض ممسكات بيد الله تعالى ، فتتبدل قدرة قيوم السماوات والأرض في عين اليقين .

هذه سلطة الله تعالى التي تتجلى أمامهم ، ومعرفتهاأعظم المعارف، وحقيقة الحقائق التي لا تساوي أمامها علوم المحققين والحكماء مثقال ذرة، ولا يعادلون مقابل ذلك من ألاعيب الأطفال . قال تعالى : وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ (الأنعام : ٧٥) .

(للبحث بقية)

المجتمع الإسلامي : حدوده وآدابه
في ضوء سورة الحجرات(الآيات ٢- ٧)

العلامة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي
تعريب : محمد فرمان الندوي

أسلوب الكلام :

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلاَ تَجْهَرُواْ لَهُ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تَشْعُرُونَ (الحجرات : ٢) .

تشير هذه الآية إلى أن المؤمنين إذا تحدثوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فينبغي لهم أن يخفضوا أصواتهم ، وليكن أسلوب كلامهم أخف وأخفض وأدعى إلى الاحترام والقدسية ، وينبغي لهم أن يراعوا مثل ذلك من الآداب خلال جلوسهم أمام النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا يحسن لهم أن يتكلموا عند الرسول صلى الله عليه وسلم ، كما يتكلمون أمام أقاربهم وأصدقائهم ، بل لا بد لهم أن يلاحظوا غاية الأدب والاحترام ، في كل سؤال يوجهونه إليه ، لأنه أفضل البشر ، ومكانته أعلى وأرفع ، لكيلا يحدث أنكم لا تشعرون بمكانته العالية وتتكلمون معه بأسلوب عامة الناس ، فتحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون، وأنتم تظنون أننا عملنا أعمالاً في الدنيا رغم أن هذه الأعمال حبطت نتيجة خطأ ضئيل وسوء أدب ، وإن كان ذلك لم يكن فادحاً ومتفاقماً في أعينكم .

امتحان القلوب :

إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَـٰئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ (الحجرات : ٣) .

ذكر في هذه الآية امتحان القلوب للتقوى ، معناه أن الله تعالى نظر إلى التقوى في قلوب الصحابة رضي الله عنهم ، وروي عنهم أنهم يكلمون أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم بكل أدب واحترام ، وأحياناً يتكلمون بكل خفية حتى يلجأ النبي صلى الله عليه وسلم إلى استفسار ماذا قالوا ؟ وخاصة بعد نزول هذه الآيات أصبح الناس حذرين كثيراً ، فأمروا مرة ثانية أن النبي إذا

أمرهم بشيئ فلا تسألوه عن شيئ آخر ، ولا تكثروا السؤال عنه ، واكتفوا بما أمركم به ، وافهموا مدلوله منه ، ولا تبحثوا عن أمور أخرى ، لذلك ذكر الله تعالى على سبيل الموعظة قصة بني إسرائيل في القرآن الكريم ، التي وردت فيها كراهة كثرة السؤال، حينما أمر بنو إسرائيل بذبح البقرة ، سألوا : كيف تكون البقرة ؟ وماذا يكون لونها ؟ فبناءً على ذلك ضيقوا على أنفسهم السبيل ، فنهاهم النبي صلى الله عليه وسلم عن كثرة السؤال ، لأنهم يقعون بها في حرج ومشقة ، فإذا أمر الله تعالى بحكم عام عن شيئ ، فينبغي أن يستفيد الناس منه ، وليعملوا به كيفما شاءوا ، ولا يقعوا في تدقيق وبحث ، فقد قال القرآن الكريم عن النبي صلى الله عليه وسلم : مَآ آتَاكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ (الحشر : ٧) ، ونظراً إلى هذا كان الصحابة رضي الله عنهم في غاية من الحيطة في السؤال أمام النبي صلى الله عليه وسلم ، وإذا كانوا في حاجة إلى السؤال ، فكروا كيف يسألونه ، لئلا يصدر منهم سوء أدب ، فكانوا ينتظرون قدوم أعرابي ، لأن هذا الرجل الغليظ الفظ يسأل عن الواقع ، فيسمعون الجواب عنه من النبي صلى الله عليه وسلم ، وورد ذكر هؤلاء الأعراب في هذه السورة أنهم يأتون إلى النبي صلى الله عليه وسلم ويتكلمون النبي صلى الله عليه وسلم بسلاطة اللسان، فيرتكبون عملاً سيئاً ، ويخسرون أنفسهم ، لكن الذين يغضون أصواتهم أمام النبي صلى الله عليه وسلم ، ويخفضون ، فأولئك هم الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى ، أي صدقوا في أعمالهم ، ونجحوا في امتحان الله تعالى ، فإن هؤلاء يتكلمون بأسلوب هادئ ولين مع الرسول صلى الله عليه وسلم كما يحب الله تعالى ، فيحذرون فيه ، فلهم مغفرة وأجر عظيم .

طبيعة سكان العرب :

كانت لهجة العرب في التكلم مع أيِ شخص شديدة ، ولا يعتبرون أنفسهم أقل درجة من غيرهم ، وإن كانوا يلقون كل فرد بكل أريحية ، وبما أن هذا الأسلوب لم يكن صحيحاً مع الرسول صلى الله عليه وسلم ، وإن كان ذلك يعتبر شعار الحضارة ، فنزلت توجيهات ربانية صريحة في القرآن الكريم ، فامتحنت قلوب هؤلاء الناس للتقوى ، فصدقوا فيه ، وكما مرَّ من قبل أنهم كانوا صامتين في مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم ، يسمعون كلام الرسول صلى الله عليه وسلم بكل أدب واحترام ،

ويمتنعون عن كثرة السؤال ، أثابهم الله تعالى بمغفرة وأجر عظيم كما قال في آخر الآية : لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ .

بعض الأعراب الجاهلين :

إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ من وَرَآءِ ٱلْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُون . وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (الحجرات : ٤ – ٥) .

ورد في هذه الآيات تأكيد أدب النبي صلى الله عليه وسلم لأن بعض الأعراب كانوا ينادون النبي صلى الله عليه وسلم من وراء الحجرات وفقاً لطبيعتهم ، يا محمد ! يامحمد ! اخرج ، هؤلاء كانوا يأتون من القرى والأرياف ، وكانوا ذوي عنجهية ، ولا يعرفون من الحضارة شيئاً ، وكيف يكون أسلوب الكلام مع الكبار ، وكيف يتكلمون مع الزملاء والصغار ، لا يعرفون عن هذه الآداب شيئاً ، مرة وقع مثل ذلك أن بعض الأعراب جاؤا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وبدؤا ينادونه صلى الله عليه وسلم من خارج البيت : محمد ، محمد ، ليصل كلامهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وإن كان كلامهم هذا لم يكن بنية فاسدة ، بل كان من جهل بمكانة الرسول صلى الله عليه وسلم ، لكن سوء الأدب يكون سيئاً ، وإن لم يكن من نية فاسدة ، فلم يرض رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنهج كلامهم هذا ، فعاتبهم الله تعالى ، وعلَّمهم كيف يعاملون الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقال عن هؤلاء الأعراب : أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُون . الواقع أن عملهم هذا صدر عن طبيعتهم ، ولم يعرفوا كيف يتكلمون مع النبي صلى الله عليه وسلم ؟ وكيف يعاملون معه ، وكم يحمل النبي صلى الله عليه وسلم من عظمة وشرف بالنسبة إليهم .

تعليم الصبر وحكمته :

جاء في الآية الثانية عنهم: وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ، لكن مثل هذا النداء لا يناسب تماماً ومكانته ، ويمكن أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم في أمر لا ينبغي له خروجه ، فإذا نُودي كان ذلك مبعث خلل وإيذاء له ، ويحتمل أن الوحي الإلهي ينزل عليه داخل البيت ، فلا يناسب نداؤه في هذه الحالة ، فلا بد لكل رجل أن يكون على حذر من ندائه صلى الله عليه وسلم من خارج البيت ، لأن أمره صلى الله عليه وسلم يختلف كلياً من عامة الناس .

ونبه الله تعالى أهل الحضر أيضاً في هذه الآيات مخاطباً الأعراب

كأنه يقول : لا تقلّلوا من قيمة النبي صلى الله عليه وسلم ، لأن له علاقةً بالله قوية ، فنال من الشرف والعظمة ما لا يساويه أحد من البشر ، فإنه وإن كان بشراً ، لكن الله تعالى خصَّه بنفسه ، ووضعه تحت كلاءته وعنايته ، وهداه إلى الصراط المستقيم ، قال تعالى : وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰ . إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَىٰ (النجم : ٣ – ٤) .

عرفنا من هذا أن كلام الرسول صلى الله عليه وسلم ليس كلامه فحسب ، بل هو كلام الله تعالى ، وهو يصل إلى الناس بواسطته ، لأن الله تعالى لا يخاطب أحداً مباشرةً ، فإذا نزل كلام الله تعالى على أحد مباشرة لا يمكن له أن يتحمل ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم كلما نزل عليه الوحي شعر بثقل يتصبب به عرقاً ، وينحني ظهره ، وإذا كان على دابة فكأنما قصم ظهرها ، وإذا كانت ركبته على أحد شعر بأن أطناناً من الثقل قد وضعت عليه ، لكن الله سبحانه جعله يتحمل ثقله ، وإذا نزل هذا الوحي على رجل عادي مات خنقاً ، وما استطاع حمله .

مقتضى العظمة النبوية :

كأن خلاصة هذه التعاليم هي أن نعتقد مكانة الرسول صلى الله عليه وسلم من أعماق قلوبنا بحيث يظهر أثرها في سائر شئوننا ، وإذا عقدنا مجلساً من مجالس الرسول صلى الله عليه وسلم شعرنا بعظمة صاحبه ، ولا يرى أننا جلسنا في هذه المجالس المباركة ، بل نكون خافضين في الكلام مع أصدقائنا ، أو نجلس كما نجلس مع أصحابنا ، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم خصه الله تعالى بنفسه ، وقد أكرمه الله تعالى بالشرف والكرامة بحيث إنه بشر إلا أنه ليس كعامة البشر ، يقول صلى الله عليه وسلم : إنما أنا بشر أرضى كما يرضى البشر ، وأغضب كما يغضب البشر .[1]

وردت في الآيات المذكورة أعلاه توجيهات خاصة بالعرب ، لأن طبائع العرب كانت حرةً ، فإنهم كانوا يخاطبون الملوك بأداة : أنت ، دخل هذا الأسلوب في العجم الذي ينم عن حضارة جيدة ، كيف يكون تعاملنا وسلوكنا مع مختلف المستويات من الناس ، وكان العرب يخاطبون الملوك ، كما كانوا يخاطبون عامة الناس ، مثلاً : أيها الملك ! افعل هذا الأمر ، فاختار بعض العرب السُذج هذا الأسلوب للنبي صلى الله عليه وسلم ، لكن

[1] صحيح مسلم : ٦٧٩٢ .

كان الأمر أن بعض الصحابة كانوا يقولون : ما رأينا النبي صلى الله عليه وسلم بملء عيوننا ، أي لم نجترئ أن ننظر النبي صلى الله عليه وسلم ، لأن هيبة النبي صلى الله عليه وسلم قد ملأت قلوبهم ، فعرف منه أنه كان هناك رجال جُدد من العرب خاطبوا النبي صلى الله عليه وسلم ، أو كان فيهم رجال قُدماء تكلموا بصوت رفيع ، ونادوا باسمه ، لأن كثرة اللقاء ١ عدم التكلف ، فوجههم القرآن الكريم إلى أن لا يرفعوا أصواتهم ، بل أن يستمعوا كلامه ، لأنه معلمكم وهاديكم ، فلا بد لكم أن تأخذوا منه شيئاً ، وتطيعوه ، لكن لا تعاملوا معه معاملة المساواة .

آداب الزيارة :

وإن ما ورد في هذه الآيات من آداب في نداء النبي صلى الله عليه وسلم من وراء الحجرات لا بد من مراعاتها مع النبي صلى الله عليه وسلم ، وإن كانت هذه الآداب جديرةً بالعمل مع عامة الناس ، ربما يكون في مجتمعاتنا أن بعض الناس ينادون عند باب أحد بصوت رفيع ، ولا يعلم أن ذلك الرجل في أي حالة ، لكن الرجل الذي ينادي لا يبالي بذلك ، رغم أن من سوء الأدب أن يكون المنادي لا يزال ينادي بغير رد من صاحب البيت ، وأدب الزيارة يقتضي أن ينتظر الإنسان جواب صاحب البيت قائماً خارج البيت ، أو ينتظر خروجه ، ويراعي وقت من يزوره أنه متى يلقاه ، ويكون فارغاً للكلام معه ، الواقع أن هذه الحضارة الإسلامية قد أمحت من بين المسلمين ، وصار حال المسلمين أنهم لا يبالون بذلك ، وهم ينطوون على أنفسهم ، ولا يفكرون في رجل آخر ، ولا في أمره ، إنهم يدخلون في البيوت بدون حياء ، فيخجل منه صاحب البيت أحياناً ، ويمكن أن صاحب البيت يلبس قميصه ، أو يكون في الحمام أو يكون في أعمال البيت الأخرى ، ويأتي رجل من الخارج ، وينادي ، ولا يستأذن ، ويدخل البيت ، هذه كلها آداب غير إسلامية ، فقد ذكر الله تعالى في القرآن الكريم آداب الزيارة بغاية من التأكيد ، ليطلع الناس على آداب الصغير والكبير في المجتمع مع آداب النبي صلى الله عليه وسلم ، ويطلعوا على أن ما هو أسلوب الكلام ، ومتى يُلقى الكلام ، وبأي مناسبة يُلقى ، ومن هو الذي يوجه إليه الكلام ؟ ومتى ينادي الإنسان ؟ وإذا لم يكن اعتناء بهذه الآداب ، فيكون الإنسان سبب إيذاء الآخرين في غفلة منه .

فوائد تبين النبأ :

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ (الحجرات : ٦) .

جاءت إشارة مهمة إلى المجتمع الإنساني خلال ذكر آداب المجتمع أن ما تتكلمون من كلمات يجب فيه أخذ الحذر والحيطة ، وكونوا مثل الرجل العاقل المتواضع ، ولا تسرعوا في أي أمر ، وإذا اطلعتم على شيئ كان موضع النقد فلا تفشوا على عجل ، لئلا يحدث سوء ظن كان مبعث خسارة ، وإذا جاءكم رجل بنبأ أو حكى قصةً ، أو أخبر أن فلاناً يقول عنك شيئاً ، وإن كان الأمر خلاف ذلك ، فبدون تبين الأمر يمكن أن يصدر من السامع شيئ كان ضاراً ، ثم يصبح على ما فعل نادماً ، فصرَّح القرآن الكريم بهذا أن رجلاً كان مرتكب الكبائر علناً ، كاذباً ، يقول باطلاً في كل مناسبة ، ولا يأخذ بالحيطة في هذا الأمر ، إذا أخبرك بشيئ فلا تصدقه ، حتى تتبين، ولا تنفذه فعلاً ، لئلا تواجه خجلاً بعد تبين الأمر .

مرض عام في العصر الحاضر :

يقع كثير من أمثال هذه الحوادث في مجتمعاتنا ، يثق الإنسان بالنبأ الذي وصله إليه من دون بحث ، ثم يعرف أنه كان باطلاً ، رغم الإجراءات التي صدرت بعده مع إنسان بريئ مبنية على سوء التفاهم لا يمكن استدراكها ، قد دخل في طبائع الناس أنهم يذكرون الآخرين في مجالسهم لمجرد متعة نفسية ، فيحبطون أعمالهم بجهالة ، هذا ما يُعرف في الإسلام بالغيبة ، ليس معنى الغيبة أن يتهم الانسان أحداً ، وهو يعرف بالتهمة ، وقد حذرت الشريعة منهما ، وقد عم مرض الغيبة في مجتمعنا كثيراً ، يخسر كثير من الناس على سبيل هذه المتعة حسناتهم ، هذه سنة الله في الأرض أن من اغتاب أحداً أعطيت حسناته من نال من عرضه ، وإذا كانت حسناته قليلة حملت معاصيه على المغتاب ، كأن عملنا الذي كان للمتعة فقط بلغ من فداحته بحيث أحبط آخرتنا ، وأضاع ما كسبنا من الحسنات القليلة ، إذا تدبرنا قليلاً عرفنا أننا نضيع حسناتنا عبثاً ، فنكون في الآخرة صفر اليدين، وأعطيت حسناتنا الآخرين ، رغم أننا كسبنا من الحسنات كثيراً .

نبه القرآن الكريم إلى عدم الثقة بأنباء هذا النوع من الناس غير الحذرين ، وأمرهم بالتبين ، لأن أمثال هؤلاء الناس ربما يقدمون كلامهم

مزخرفاً ومزوراً ، ويجعلون الكلام المشين كلاماً صافياً ، فيشتعل منه الناس ، ويباشرون عملاً قادحاً بجهالة ، فلا تكون نتيجته حسنةً ، ويتأسفون طول حياتهم .

فداحة عدم التبين :

ورد في كتاب كليلة ودمنة قصة ، تبيِّن أن الإنسان إذا أقدم على أمر بدون تبين الأمر خجل وندم ، ولا يجد له حلاً للخروج منه ، والقصة على ما يأتي : إن امرأة ولدت غلاماً جميلاً ، ففرح به أبوه ، وبعد أيام حان لها أن تتطهر ، فقالت المرأة للناسك : اقعد عند ابنك حتى أذهب إلى الحمام ، فأغتسل ، وأعود ، ثم إنها انطلقت إلى الحمام وخلفت زوجها والغلام ، ولم يلبث أن جاءه رسول الملك يستدعيه ، ولم يجد ما يخلفه عند ابنه ، غير ابن عرس داج عنده ، كان قد رباه صغيراً ، فهو عنده عديل ولده ، فتركه الناسك عند الصبي وأغلق عليهما البيت ، وذهب مع الرسول ، وخرج من بعض أجحار البيت حية سوداء ، دنت من الغلام ، فضربها ابن عرس ، ثم وثب عليها فقتلها ، ثم قطعها وامتلأ فمه من دمها ، ثم جاء الناسك وفتح الباب ، فالتقاه ابن عرس كالبشير له ، بما صنع من قتل الحية ، فلما رآه ملوثاً بالدم ، وهو مذعور ، طار عقله ، وظن أنه قد خنق ولده ، ولم يتثبت في أمره ، ولم يتروِ فيه ، حتى يعلم حقيقة الحال ، ويعمل بغير ما ظن ذلك ، ولكن ضرب ابن عرس ضربة بعكازة ، كانت في يده على أم رأسه ، فمات ، ودخل الناسك ، فرأى الغلام سليماً حياً ، وعنده أسود مقطع ، فلما عرف القصة ، تبين له سوء فعله في العجلة وضرب على رأسه ، وقال : ليتني لم أرزق هذا الولد ، ولم أغدر هذا الغدر ، ودخلت امرأته ، فوجدته على تلك الحال، فقالت له: ما شأنك ؟ فأخبرها بالخبر من حسن فعل ابن عرس، وسوء مكافأته له ، وقالت : هذه ثمرة العجلة ، فهذا مثل من لا يتثبت في أمره ، بل يحقق أغراضه بالسرعة والعجلة .[1]

ملاحظة :

تقع أمثال هذه الحوادث في المجتمع الإنساني ، فلا بد من الاعتبار والاتعاظ بها ، ولا ننفذ شيئاً مبنياً على نبأ مبهم و خطأ ، بل ننفذ كل عملية بعد تبين النبأ . قال الله تبارك وتعالى :

(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ)

[1] باب الناسك وابن عرس : كليلة ودمنة ص: (٢٢٨ – ٢٢٩) .

البلاغة والإعراب والبيان في القرآن الكريم
سورة الأنعام

بقلم : معالي الشيخ الدكتور راشد عبد الله الفرحان*

سميت بها لورود ذكر الأنعام وحكمها في آخر السورة .

والمناسبة لما قبلها أن معظم المحاجة في أهل الكتاب ، والأنعام معظمها محاجة في المشركين .

وكذلك إن سورة الأنعام قد ذكرت أحكام الأطعمة المحرمة والذبائح ، والمائدة ذكرت ذلك بالتفصيل .

١ (ٱلْحَمْدُ لِلَّه ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَاتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ).

خلق – جعل :

خلق : إيجاد العوالم العلوية التي نرى كثيراً منها ، وأما جعل : فهو في الحسيات بمعنى إيجادها ، قال الزمخشري : جعل يتعدى إلى مفعول واحد إذا كان بمعنى أحدث وأنشأ مثل (وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَـاتِ وَٱلنُّـورَ) ، والفرق بين الجعل والخلق ، أن الخلق فيه معنى التقدير ، وفي الجعل معنى التضمين كإنشاء شيئ من شيئ مثل (وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا)، ثم قال الشيخ رشيد رضا : وقد أخذ الرازي من غير عزو ، وزاد عليه قوله ! (وإنما حسن لفظ الجعل هنا لأن النور والظلمة لما تعاقبا صار كل واحد منهما كأنما تولد من الآخر) ودائماً أو غالباً ما تأتي جعل : بعد خلق : كما في سورة النساء .

٣ (وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَاوَاتِ وَفِى ٱلأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ).

الوعد والوعيد في الخبر العام :

هذا خبر عام عن مستقبل سيأتي، يفرح به قوم، ويحزن منه آخرون، للمؤمن وعد وللكافر وعيد .

٥ (فَقَدْ كَذَّبُواْ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ) .

---

* وزير الأوقاف والشئون الإسلامية في دولة الكويت سابقاً .

وجاء في الشعراء : (فَقَدْ كَذَّبُواْ فَسَيَأْتِيهِمْ أَنبَاءُ مَا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ) .

فَقَدْ كَذَّبُواْ بِٱلْحَقِّ – فَقَدْ كَذَّبُواْ :

إن آية الأنعام ترتبت على الإطناب ، وفيها الدلالة على نبوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، والمراد بالحق القرآن ، وفي الشعراء صرح بالقرآن ، ولأن سورة الأنعام متقدمة ، فقيَّد التكذيب بقوله (بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ) ثم قال (فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ) ثم اقتصر في الشعراء على السين بدلاً من (فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ) ليتفق ذلك مع الاختصار .

الوعيد في الآية :

خبر فيه الوعيد ، وجاء بـ (قد) التي تفيد التحقيق ، والتعبير بـ (جَآءَهُمْ) ليبرز قدوم الحق إليهم ومشاهدتهم له، وكأنه مشي على القدمين، ووقف أمامهم يدعوهم .

٨ (وَقَالُواْ لَوْلآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكاً لَّقُضِيَ ٱلأَمْرُ ثُمَّ لاَ يُنظَرُونَ) .

أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ - أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ :

وجاء في سورة الفرقان (لَوْلآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيراً) إن (على) أقوى من (إلى) وتأتي على في الغالب في العقوبات (وَفِى عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ) وفيها معنى الاستعلاء والقوة، أما (إلى) فليست كذلك، وإنما تفيد الغاية .

١١ (قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلأَرْضِ ثُمَّ ٱنْظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ) .

عَاقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ - عَاقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ :

وفي سورة النحل (قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ).

لما تقدم ذكر من كذبوا بالحق وأصناف المكذبين في الآيات السابقة ناسب ذكر المكذبين في الاية ، أما في آية النحل فقد ذكروا بأن آلهتهم لا تفعل شيئاً فكان مرتكبهم بعد هذا مجرماً فقيل لهم سيروا فانظروا عاقبة المجرمين لتتعظوا وتعتبروا ، لأن المقصود من الأمر بالسير في الأرض الاطلاع والاعتبار .

١٢ (قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلأَرْضِ قُل لِّلَّهِ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ لاَ رَيْبَ فِيهِ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ) .

وجاء في الآية ٢٠ (ٱلَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ ٱلْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ) ، هذا ليس بتكرار في السورة ، لأن الأول في

حق الكفار المشركين ، والثاني في حق أهل الكتاب ليعم الفريقين .

وعيد مؤكد :

وفي الآية وعيد مؤكد لأنه جواب لقسم محذوف ، والجملة استئناف مسوق للوعيد على شركهم وإغفالهم النظر ، وجاء جواب القسم مؤكداً باللام ونون التوكيد ، وجملة (لاَ رَيْبَ فيه) تأكيد لوقوعه .

(كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ) هذا خبر أريد به الترغيب والتنشيط ، وتأكيداً لذلك آثر كلمة : كتب ، التي توحي بالوجوب .

١٤ (قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّاً فَاطِرِ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلاَ يُطْعَمُ قُلْ إِنِّيۤ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ) .

المجاز المرسل :

المجاز المرسل وعلاقته الجزئية ، والمراد من الآية إبراز استحقاق الله للولاية والعبادة ، والكفران بما سواه ، والمراد من الطعم الرزق بمعناه اللغوي ، وكل ما ينتفع به مقابلاً في قوله تعالى (مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ) وعبَّر بالخاص الذي أريد به العام مجازاً ، لأنه عظمه وأكثره لشدة الحاجة إليه .

١٩ (قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْآنُ لأُنذِرَكُمْ به وَمَنْ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ آلِهَةً أُخْرَىٰ قُل لاَّ أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَـٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيۤءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ) .

البلاغة :

(أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ)خروج الاستفهام عن معناه الأصلي، فهو للإنكار والتقرير.

٢٣ (ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلاَّ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ) .

٢٤ (ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُواْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ) .

يتبرؤن من كل شيئ ، إنه شيئ عجيب ؟ وأعجب منه يكذبون على أنفسهم ، (وَضَلَّ عَنْهُمْ) .

٢٥ (وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِيۤ آذَانِهِمْ وَقْراً وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُواْ بِهَا حَتَّىٰ إِذَا جَآءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوۤاْ إِنْ هَـٰذَآ إِلاَّ أَسَاطِيرُ ٱلأَوَّلِينَ) .

يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ - يَسْتَمِعُون إِلَيْكَ :

وفي سورة يونس (٤٢) (وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُواْ لاَ يَعْقِلُونَ) .

في الأنعام وحد اللفظ لقلة المستمعين، وجمع ما في يونس جمع كثرة، وهي عامة كذلك .

يسمعون القول وكأنهم لا يسمعون كأن آذانهم صماء ، لا تؤدي وظيفتها ، وكأن إدراكهم في غلاف لا تنفذ إليه مدلولات ما سمعته الآذان، والتنوين للتفخيم ، أي أكنة ثقيلة ، ووقر شديد ثقيل .

٢٦ (وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ) .

يَنْهَوْنَ عَنْهُ - وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ :

ينهون الناس عن اتباع النبي صلى الله عليه وسلم وسماع القرآن(وَيَنْأَوْنَ) أي يبتعدون عنه ليكونوا ناهين منتهين وهما كلمتان متقاربتان في اللفظ وهو يُشعر قربهما بالمعنى ، ولما كان خطر الإضلال أشد من خطر الضلال قدم النهي على النأي ، والنهي إضلال للغير وصد عن سبيل الله تعالى ، أما النأي فهو ذاتي وخاص بالنفس .

٢٧ (وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلاَ نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ).

الاستعارة المكنية [1] :

في قوله (وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ) تمثيل لحبسهم للسؤال والتوبيخ .

الحرف الزائد :

وهو ما لا يستغني عنه إعراباً ولا يحتاج إلى تعليق كذلك ، لا يستغني عنه في المعنى لأنه إنما جيئ به لتوكيد مضمون الكلام .

الإيجاز بالحذف :

هنا حذف جواب لو ، ثقة لظهوره .

٣٠ (وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَـٰذَا بِٱلْحَقِّ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ) .

وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ - وُقِفُوا عَلَى رَبِّهِمْ :

لأنهم أنكروا النار في القيامة ، وأنكروا جزاء الله ونكاله ، فقال

[1] ما حذف فيها المشبه به .

في الأولى : (وُقِفُواْ عَلَىٰ ٱلنَّار) وفي الثانية : (وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ) أي جزاء ربهم ونكاله في النار ، وختم الآية (بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ) .

٣١ (قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُواْ يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ) .

الاستعارة التمثيلية :

فقد شبه البعث بلقاء الله ، ثم حذف المشبه وأبقى المشبه به .

استعارة تصريحية :

(وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ) أي يحملون ذنوبهم وخطاياهم ، فقد شبه الذنوب بالأوزار الثقيلة الأحمال ثم حذف المشبه وأبقى المشبه به ، والمراد بقاء سوء حالهم ، وشدة ما يجدونه من المشقة والآلام .

٣٢ (وَمَا ٱلْحَيَاةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ ٱلآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ) .

لَعِبٌ وَلَهْوٌ – لَهْوٌ وَلَعِبٌ:

قدم اللعب هنا وفي سورة محمد (إِنَّمَا ٱلْحَيَاةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِن تُؤْمِنُواْ وَتَتَّقُواْ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ) وفي سورة الحديد (ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَاةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ) ، ولكن قدم اللهو في سورة العنكبوت فقال : (وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَاةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ – ٦٤) .

اللعب كلعب الصبيان وكلهو الشبان ، وزينة كزينة النساء ، وتفاخر كتفاخر أهل الكبر ، وتكاثر كتكاثر أصحاب الثراء والترف .

التشبيه البليغ[1] :

(وَمَا ٱلْحَيَاةُ ٱلدُّنْيَآ) والمراد ما أعمال الحياة الدنيا إلا كاللعب واللهو وعدم النفع ، وزيادة اللام للتوكيد فيما لم يؤكد ذلك في الأعراف (٥١) (ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَاةُ ٱلدُّنْيَا) وإن ذلك يوم القيامة .

٣٧ (وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ آيَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) .

نَزَّلَ عَلَيْهِ – أُنزِلَ عَلَيْهِ :

(نُزِّلَ) بالتضعيف وفي قراءة ابن كثير بالتخفيف ، وتخرج قراءة

[1] التشبيه البليغ ما حذف فيه الوجه والأداة معاً مثل (زيد أسد) ويقصد بالبليغ المبالغة في الوصف .

التضعيف التي سبقتها لو لا بمعنى هلا وطلبهم هنا ليس آية قرآنية بل آية كونية ثقيلة ، وقراءة التضعيف تدل على التدريج أو التكثير ، وقال الشيخ رشيد رضا : (والذي نراه هو أن كل صيغة منها على أصل معناها ، وأن الجمع بينهما لبيان أن بعضهم اقترح آية كونية واحدة كنزول الملك من السماء يساعد النبي يرونه ، وبعضهم اقترح عدة آيات منها ما لا يكون إلا بالتدريج ، وهي المشار إليها بقراءة الجمهور ، ولا ينافي إفراد الآية هنا على طلب بعضهم لعدة آيات ، وقد جاء لفظ الجمع في آية العنكبوت الواردة بمقتضى هذه الآية (وَقَالُواْ لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّمَا ٱلآيَاتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَاْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ) .

ختام الآية :

لقد مضت سنة الله تعالى في الأقوام السابقة أن يعاقب المعجزين للرسل بعذاب الاستئصال ، وذلك لا يكون خيراً لهم بل هو شر لهم ولكن أكثرهم لا يعملون .

٤٠(قُلْ أَرَأَيْتَكُم إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ)

قُلْ أَرَأَيْتَكُم - قُلْ أَرَأَيْتُمْ :

٤٦ (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ مَّنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُمْ به ٱنْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ) .

٤٧ (قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلاَّ ٱلْقَوْمُ ٱلظَّالِمُونَ).

جمع في هذه الآيات بين حرف الخطاب وتاء الضمير ، والتاء اسم والكاف حرف ، والجمع بينهما يدل على أن ذلك تنبيه على شيئ ما ، وهو ذكر الاستئصال بالهلاك ، ولما كان المتوعد به شديداً أكد في التنبيه عليه بالجمع بينهما مبالغة في الوعد ، والهمزة جاءت للاستفهام ورأيت فعل وفاعل وكم خطاب لا محل له ، والمعنى أخبروني ، والمقصود تبكيت الكفار ، وقد خرج الاستفهام عن معناه الأصلي في (أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ) وقال في الآية (٤٦) أَرَأَيْتُمْ ، فزيادة الكاف تدل كذلك على التوكيد وهي أشد تنكيلاً وعذاباً أشد من أخذ السمع والبصر .

ٱنْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ :

ٱنْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ :

قال الله سبحانه في الأنعام الآية (قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ

عَذَاباً مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ من تَحْت أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ ٱنْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلآيَات لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ) وما جاء في سورة الأنعام كذلك في الآية ١٠٥ (وَكَذٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلآيَات وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) .

تصريف الآيات : تنويعها أي الحجج والبينات ، ويصدفون : يعرضون عن الآيات المتنوعة حتى لو أعرضوا عنها نكروها لعلهم يعلمون الحق فيتبعونه .

٥٠ (قُل لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عندى خَزَآئِنُ ٱللَّه وَلآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَىٰ إِلَىَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَفَلاَ تَتَفَكَّرُونَ) .

وَلا أَقولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ - وَلا أَقولُ إِنِّى مَلَكٌ :

وفي سورة هود (٣١) (وَلاَ أَقُولُ لَكُمْ عندى خَزَآئِنُ ٱللَّه وَلاَ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلاَ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ) بغير تكرير الخطاب ، لأنه حكاية عن نوح عليه السلام متلطفاً ومشفقاً من حال قومه ، والآيات في أول السورة تدل على ذلك ، أما الآية في سورة الأنعام ، فقد تكرر فيها قول : لكم ، تأكيداً ما يدل على التوبيخ .

استعارة تمثيلية :

فقد شبهت حالة من لا يفقه الأذن ولا يفكر ، بحالة الأعمى والبصير ، فجعل الأعمى مثلاً للجاهل ، والبصير للعارف بالله ونبيه(صلى الله عليه وسلم) .

٥٤ (وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسه ٱلرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَن عَمِلَ منكُمْ سُوۤءًا بِجَهَالَة ثُمَّ تَابَ من بَعْده وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) .

٥٩ (وَعندَهُ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْب لاَ يَعْلَمُهَآ إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ من وَرَقَة إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّة فى ظُلُمَاتِ ٱلأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فى كِتَابٍ مُّبِينٍ).

البلاغة :

١. الاستعارة التصريحية : حيث استعار العلم للمفاتح ، والقرينة الإضافة إلى الغيب .
٢. الكناية : في قوله (وَلاَ حَبَّة فى ظُلُمَاتِ ٱلأَرْضِ) حيث كنى بالظلمة عن الباطن .
٣. المقابلة : فقد طابق بين البر والبحر ، والرطب واليابس .
٤. التكرير : لا يعلمها (إِلاَّ هُوَ ، و إِلاَّ فى كِتَابٍ مُّبِينٍ) .

٦٢ (ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَىٰ ٱللَّهِ مَوْلَاهُمُ ٱلْحَقِّ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَاسِبِينَ) .

الوعد والوعيد :

تبين رجوع الناس إلى الله ووقوفهم بين يديه ليحكم بينهم ، والتقديم المفيد للقصر ليؤكد المعنى ويؤيد في تحقيقه .

٦٨ (وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّالِمِينَ) .

الغرض هنا من الأمر في قوله (فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ) النصح والإرشاد .

الاستعارة :

في قوله (ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ آيَاتِنَا) أصل الخوض للماء ، استعير لمن يتكلم بالجهل والاستهزاء .

٧٠ (وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَعِباً وَلَهْواً وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَاةُ ٱلدُّنْيَا وَذَكِّرْ بِهِ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُواْ بِمَا كَسَبُواْ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ) .

الغرض :

(تُبْسَلَ نَفْسٌ) أي تسلم إلى الهلاك والإبسال المنع ، والباسل الشجاع لامتناعه عن أقرانه .

الغرض :

والغرض من الآية التهديد للمشركين ، قال مجاهد إنما هو أمر تهديد .

(يتبع)

الدعوة الإسلامية

عالمنا اليوم بحاجة إلى ثقافة الروح !!!

بقلم : الشيخ الطاهر بدوي الجزائري *

هناك شبهات وجهها خصوم الإسلام إليه ، منها " أن الإسلام تنقصه الناحية الروحية وأنه دين مادي " ومنها : " أن الإسلام نظام شرعي أكثر منه نظاماً أخلاقياً روحياً ".

والحق أنه ليس هناك شبهة أبعد في الخطأ من هذين الزعمين : فالإسلام قد اشتمل على مبادئ روحية لا يوجد لها نظير في سموها وسرعة استجابة النفس لها في أي دين من الأديان. . . وهذا ما سنراه إن شاء الله في البحوث الآتية :

الإنسان يتكون من روح ومادة :

يتكون الإنسان من عنصرين : عنصر مادي ينمو ويتحرك ، وآخر بريئ من المادة ، له تلك المظاهر الخاصة من تفكير وعلم وإرادة ، وحب وبغض وخلق كريم أو ذميم .

لكل من هذين العنصرين رغائب يتوق صاحبها إلى تحصيلها في أقصى حدودها . فللجسم رغائب من الطعام والشراب والجنس وغير ذلك ، وللروح مدارج في الرقي يمكن أن تنال منها حظوظاً متفاوتة حسب سعيها ومجاهدتها .

اتصلت الروح بالبدن ، وفي هذا الاتصال ألوان من البلاء ، فصار كثير من الناس عبيداً لشهواتهم ، وانحطت بشريتهم إلى درجة الحيوانية المحضة ، لا يرغبون من الحياة إلا ألوان الطعام والشراب وسائر أنواع الشهوات ، بل ربما انحدروا إلى ما وراء الحيوانية المعتادة بما وُهبوا من التفكير . . . والكثير من المكلفين هم هؤلاء .

قال تعالى في سورة الأعراف : " وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ

* كبير علماء الجزائر .

بِهَآ أُوْلَـٰٓئِكَ كَٱلأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَافِلُونَ " (١٧٩) .

فهؤلاء لم يفتحوا القلوب التي أعطوها ليفقهوا ، ودلائل الإيمان والهدى حاضرة في الوجود وفي الرسالات تدركها القلوب المفتوحة والبصائر المكشوفة ، وهم لم يفتحوا أعينهم ليبصروا آيات الله الكونية ، ولم يفتحوا آذانهم ليسمعوا آيات الله المتلوة ، لقد عطلوا هذه الأجهزة التي وهبوها ولم يستخدموها ، لقد عاشوا غافلين لا يتدبرون .

والذين يغفلون عما حولهم من آيات الله في الكون وفي الحياة ، والذين يغفلون عما يمر بهم من الأحداث فلا يرون فيها يد الله ، أولئك كالأنعام بل هم أضل . . . فللأنعام استعدادات فطرية تهديها ، أما الجن والإنس فقد زودوا بالقلب الواعي والعين المبصرة والأذن الملتقطة . فإذا لم يفتحوا قلوبهم وأبصارهم وأسماعهم ليدركوا ، إذا مروا بالحياة غافلين لا تلتقط قلوبهم معانيها وغاياتها ، ولا تلتقط أعينهم مشاهدَها ودَلالاتها ، ولا تلتقط آذانُهم إيقاعاتها وإيحاءاتها ، فإنهم يكونون أضل من الأنعام الموكولة إلى استعداداتها الفطرية الهادية ، ثم هم يكونون من ذرء جهنم ، يجري بهم قدر الله إليها وفق مشيئته حين فطرهم باستعداداتهم تلك ، وجعل قانون جزائهم هذا فكانوا كما هم في علم الله القديم حصب جهنم منذ أن كانوا .

لهذا جاء القرآن الكريم بتشريع روحي قوامه الإيمان بالله والتحقق بمعرفته معرفة يقينية لا يأتيها الشك ، تسمو بالمرء ، وتجعله فرداً صالحاً في المجتمع الإنساني وتنقذه من الأزمات النفسانية التي تجتاحه من جراء جهله سرّ هذا الكون . ثم دعا القرآن الإنسان أن يجاهد نفسه ويروضها على فعل الخير وأن يصفي قلبه وينقيه من أدران الشهوة والهوى والبغض والحسد وسائر أمراضه لتُجمَع النفوس على المحبة والإخاء والسلام .

والعالم اليوم بحاجة إلى ثقافة روحية :

هذا العالم المادي الذي كان تحت تأثير اعتقاد جازم بأنه بتقدمه المادي المطرد قد بلغ مرتبة الكمال ولكن أحداث الخمسين عاماً الأخيرة قد بدلت هذا الاعتقاد .

فالرقي المادي الذي وصلنا إليه في هذا القرن لم يؤت ثمرته الفعلية من إسعاد الناس بل على العكس ، جلب التعاسة والخراب الناجمين عن الحروب المتلاحقة ، فلا زال القوي يفترس الضعيف ويزعم أنه يدافع عن حقوق الإنسان ، ولا زال الاستعمار ينشب مخالبه في صدور الدول الضعيفة ، ولا زالت الأجناس يكره بعضها البعض ، وهذا كله يدلنا على إفلاس الحضارة المادية الخالية من القيم الروحية .

وللعالم الشهير " اندروكونواي إي في " ملاحظات نقلها الأستاذ عفيف عبد الفتاح طباره في كتابه " روح الدين الإسلامي " يقول هذا العالم الشهير ما نصه : " إن النواحي الروحانية والأخلاقية من حياة الإنسان وما ينبغي أن يفعله أهمية بالغة بالنسبة لسلامة الإنسان ورفاهيته ، وهي أهمية تفوق أهمية معرفته وسيطرته على الطبيعة غير الإنسانية . فإحاطتنا بالعلوم الطبيعية تزيد من فهمنا للعالم الذي نعيش فيه ، ومن وسائلنا في تحسين الإنتاج وتوزيع الضروريات ووسائل الاستمتاع بالحياة وتقلل من الآلام وتطيل الحياة ، ومع ذلك فإن المشكلة العظمى في العالم في الوقت الحاضر تعد مشكلة أخلاقية ودينية ، فهي تدور حول معرفة كيف نستخدم الطاقة الذرية لتحقيق صالح البشر ورفاهيتهم ، لا لكي ننزل بهم الدمار . ولعل أعظم ما صادف الناس والمجتمعات من مشكلات في الحياة كانت من النوع الخلقي ، وكانت تدور حول معرفة كيف تتخذ القرارات الصائبة " .

ويضيف عن دور " جمعية التسلح الخلقي " قائلاً : " وقد قامت اليوم بعض الجمعيات في سويسرا وغيرها لهذا الغرض . منها جمعية التسلح الخلقي التي أنشأها الدكتور " فرانك بكمان " وقد قصد بها إلى تغير المجتمع بتغير أفراده ، ووسيلته أن يتسلح كل فرد بمبادئ يأخذ نفسه بها في غير تساهل ، ومن هذه المبادئ الاتجاه إلى الله والإصغاء إلى أوامره وطاعته ، وأن يحاسب المرء نفسه كلما أذنب مصمماً على أن يتجنب الرذائل ، وأن يتعاون الأفراد على تحقيق هذه المبادئ كي تسود في المجتمع . فالانقسام من علامات عصرنا . . . والإتحاد مطلبنا العاجل والانقسام نتيجة التكبر والحقد والشهوة والطمع ، وهو من صنع المادية

وهو العلامة التي تميز بضاعتها " .

إن نظام الروحية في الإسلام مسألة لا بد لفهمها وإدراك معناها من أن نكون على خبرة تامة بين مفهومها في الإسلام ومفهومها في الأديان والنظم الفلسفية الأخرى .

فالفكرة التي ما زالت مسيطرة في ميدان الديانات والفلسفة أن الروح والجسد يتعارضان في مصالحهما ، فمن المعتذر إذن رقيهما وازدهارهما جنباً إلى جنب . فالجسد والعالم المادي سجن الروح ، والعلائق الدنيوية والإنغماس في لذائذها ورغباتها هي الأصفاد والأغلال التي تقيد بها الروح البشرية .

كانت نتيجة هذه الفكرة التفريق بين الطرق الروحية والمادية . فالذين آثروا المادة يئسوا من أول خطواتهم من مسايرة الروح فانغمسوا في عبودية المادة كل الانغماس وابتعدوا عن الروحانية كل الابتعاد ، والذين آثروا الروحانية قصدوا لرقي أرواحهم طرقاً ومناهج تبعدهم عن الشؤون الدنيوية وذلك أنه من المستحيل في نظرهم أن يوجد لارتقاء الروح طريق يمر بين الحياة الدنيا وشؤونها . ولهذا نراهم في سبيل ترقية الروح قد أهملوا أمر الجسد ، ومن أجل ذلك تراهم قد اخترعوا رياضات بدنية شاقة قضت على رغبات النفس ، فمنهم من يقللون طعامهم وشرابهم إلى أن يصيروا كالهياكل العظمية هزالاً ونحولاً ، ومنهم من يضيفون إلى هذه إثقال أجسادهم بالسلاسل الحديدية ، بل منهم فئة يجلسون وينامون على أسنة مشرعة من المسامير .

وإذا نظرنا إلى المسيحية رأيناها ديانة زهد وتخلص من علاقات الدنيا واعتداد بالروح دون الجسد . . . وهذه هي الرهبانية التي قال عنها القرآن الكريم في سورة الحديد : " وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلاَّ ٱبْتِغَآءَ رِضْوَانِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ " (٢٧) ، والراجح في تفسير الآية أن هذه الرهبانية التي عرفها تاريخ المسيحية كانت اختياراً من بعض أتباع سيدنا عيسى عليه السلام ، ابتدعوها من عند أنفسهم ابتغاء رضوان الله وابتعادا عن أوضار الحياة وأدناسها ، ولم يكتبها الله عليهم ابتداءً ولكنهم حين اختاروها

وأوجبوها على أنفسهم صاروا مرتبطين أمام الله بأن يراعوا حقوقها ويحافظوا على مقتضياتها من تطهر وترفع وقناعة وعفة وذكر وعبادة ، مما يحقق في أنفسهم حقيقة التجرد لله التي قصدوا إليها بهذه الرهبانية التي ابتدعوها ولكنها انتهت إلى أن تصبح في الغالب طقوسا وشعائر خالية من الروح وأن يتخذها الكثيرون مظهراً عارياً من الحقيقة ووسيلة لاستغلال نفوس الأبرياء وجلب للحطام الفانية . . . والحقيقة صعبة لا يصبر على تكاليفها إلا العدد القليل والقليل .

والقرآن قد أتى بأسس روحية تكفل الاستقرار والسلام والإخاء لسكان المعمورة وهي – ويا للأسف – لا تزال مجهولة لكثير من الشعوب ومفكري الإنسانية الذين يبحثون عن خير الوسائل لنشر السلام والمحبة في عالمنا المضطرب ، يبحثون عنها وهي أقرب إليهم من حبل الوريد ولا حول ولا قوة إلا بالله .

يمتاز الإسلام الحنيف عن غيره من الأديان المعروفة بالعدل بين مطالب الروح ومطالب الجسد فهو لا يأمر المسلم أن يحرم نفسه من متعة مادية ولا ملذة جسدية مادام يتناولها من طريقها المشروع وفي حدها المعتدل حتى إننا نلاحظ أن أكثر الآيات القرآنية تحض على طلب المنزلتين الروحية والمادية معاً ، قال تعالى في سورة القصص : " وَٱبْتَغِ فِيمَآ آتَاكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلآخِرَةَ وَلاَ تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ وَلاَ تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلأَرْضِ إِنَّ ٱللَّهَ لاَ يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ " (٧٧) .

وهذه نصيحة قد وجهت إلى قارون ، وحينها أجاب بكل غرور : " إِنَّمَآ أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ " فلم يستمع قط لنداء قومه ولم يشعر بنعمة ربه ولم يخضع لمنهجه القويم . لقد أعرض عن هذا كله في استكبار لئيم وفي بطر ذميم وكادت كثير من النفوس الضعيفة تصاب بعدواه لولا العناية الإلهية التي أيدت الراسخين في العلم المتصلين بالله ، والتي لقنت دروساً لا تُنسى لأولئك الذين تمنوا لأنفسهم مثل ما أوتي قارون لأنه في زعمهم " لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ " قال سبحانه في نفس السورة : " فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ ٱلأَرْضَ " نعم فابتلعته وابتلعت داره وهوى في بطن الأرض التي عَلاَ فيها واستطال فوقها جزاءً وفاقاً ، وذهب ضعيفاً عاجزاً ، لا ينصره أحد ولا

ينتصر بجاه أو مال ، وهوت معه الفتنة الطاغية التي جرفت بعض الناس و ردتهم الضربة القاضية إلى الله ، وكشفت عن قلوبهم قناع الغفلة والضلال .

وهو نموذج مكرر في البشرية ، فكم من الناس يظن أن علمه وكده هما وحدهما سبب غناه ، ومن ثم فهو غير مسؤول عما ينفق وما يمسك غير محاسب على ما يفسد بالمال وما يصلح ، غير حاسب لله حساباً ، ولا ناظر إلى غضبه ورضاه .

لقد خلق الله طيبات الحياة ليستمتع بها الناس وليعملوا في الأرض لتوفيرها وتحصيلها ، فتنمو الحياة وتتجدد ، وتتحقق خلافة الإنسان في هذه المعمورة ، ذلك أن تكون وجهتهم في هذا المتاع هي الآخرة فلا ينحرفون عن طريقها ، ولا يشغلون بالمتاع عن تكاليفها .

والمتاع في هذه الحال لون من ألوان الشكر للمنعم ، وتقبل لعطاياه وانتفاع بها ، نعم لون من الطاعات لأن الله جميل يحب الجمال ولأنه جل علاه يحب أن يرى على عبده أثر نعمته ، فهو طاعة يجزي الله عليها بالحسنى . وهكذا يحقق هذا المنهج التعادل والتناسق في حياة الإنسان ، ويمكنه من الارتقاء الروحي من خلال حياته الطبيعية المتعادلة التي لا حرمان فيها ولا إهدار لمقومات الحياة الفطرية البسيطة .

فالمال هبة من الله وإحسان فليقابَل بالإحسان " وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ " فيه إحسان التقبل وإحسان التصرف والإحسان به إلى الخلق ، وإحسان الشعور بالنعمة وإحسان الشكران . فالشأن أن تتقي الله في المادة لا أن تتقيها هي لأنها وسيلة تصعد بك إلى عليين إن رعيت حق الله والعباد فيها أو تهوي بك إلى أسفل سافلين إن نسيت مصدرها وحكمتها وغرتك الدنيا وغرك بالله الغرور .

ثم اعلم أن الإسلام يعترف بالملكية الفردية ويقدر الجهد الفردي الذي بذل في تحصيلها من وجوه الحلال التي يشرعها ، ولا يهون من شأن الجهد الفردي أو يلغيه ، ولكنه في الوقت ذاته يفرض منهجاً معيناً للتصرف في الملكية الفردية كما يفرض منهجاً لتحصيلها وتنميتها ، وهو منهج متوازن متعادل لا يحرم الفرد ثمرة جهده ولا يطلق يده في الاستمتاع

به حتى الترف ولا في إمساكه حتى البخل والتقتير ، ويفرض للجماعة حقوقها في هذا المال ورقابتها على طرق تحصيله ، وطرق تنميته ، وطرق إنفاقه والاستماع به ، وهو منهج خاص واضح الملامح متميز السمات .

وغاية ما نراه في الاعتناء بالناحية الجسدية تصريح القرآن بأن الله خلق الأرض ليسخرها الإنسان في منافعه قال جل وعز : " هُوَ ٱلَّذى خَلَقَ لَكُمْ مَّا فى ٱلأَرْضِ جَميعاً " (البقرة : ٢٩) ، وقال جل ذكره : " وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فى ٱلسَّمَاوَاتِ وَمَا فى ٱلأَرْضِ جَميعاً مِّنْهُ إِنَّ فى ذٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ "(الجاثية: ٣).

فكل شيء في هذا الوجود منه سبحانه وإليه ، وهو منشئه ومدبره ، وهو مسخره أو مسلطه ، وهذا المخلوق الصغير – الإنسان – مزود من الله بالاستعداد لمعرفة طرف من النواميس الكونية ، يسخر به قوى في هذا الكون الفسيح وطاقات تفوق قوته وطاقته بما لا يقاس ! وكل ذلك من فضل الله عليه . وفي كل ذلك آيات للمتفكرين ، الذين يتدبرون في خلق الله ويتبعون بقلوبهم وعقولهم لمسات اليد الصانعة المدبرة المصرفة لهذه القوى والطاقات .

وهاتان الآيتان تشيران إلى مدى سلطان الإنسان على العوالم المادية ، ومثل هذا القول من المعجزات الفلسفية للقرآن الكريم لم يقل به أحد قبل القرن التاسع عشر من الناحية العلمية فقد اعتبر الكون يومئذ مجهولاً مزعجاً ، واليوم بعد أن سخر الإنسان العالم لمنافعه نستطيع أن نقول : إن الإسلام كشف عنه قبل أن تظهر بوادره ، وقبل أن يطمئن الإنسان على وجوده في الأرض .

وعلى هذا البيان يقول الرسول صلى عليه وسلم : " لا رهبانية في الإسلام " لأن الرهبانية تجعل الصالحين من عباد الله لا يهتمون إلا بنجاتهم ، فينزلون إلى الصوامع وينتقل زمام أمر العالم إلى من لا هم لهم إلا الإفساد في الأرض .

والحق أن ما ذهب إليه الإسلام من الجمع بين الروح والمادة هو ما تقبله الفطرة الإنسانية ، فالله لم يخلق للإنسان شهواته الطبيعية و قواه عبثاً أو لإخمادها بالرياضة النفسية ولكنه خلق الإنسان على هذه الصورة من تنوع الغرائز ليتمكن من السيطرة عليها وتوجيهها إلى المثل العليا .

فالحالة الوسطى بين الروحانية المتطرفة والمادية المغالية أمر تستدعيه حياة المجتمع ولا يوجد ما هو حاصل على هذه الميزة غير الإسلام الحنيف .

وهذا الدين الجليل لم يقم على هذا الطريق الوسط بين الروح والجسد ذهاباً منه إلى أنهما سواء في الدرجة ، لا ، ولكن الحكمة الإلهية اقتضت أن يكون الإسلام مبنياً على قواعد العلم ونواميس الطبيعة .

وقد قرر العلم أن العقل السليم لا يكون إلا في الجسم السليم ، وأن السمو الروحي لا يحصل من حرمان الجسد من حاجاته ولكن من توفيه تلك الحاجات في دائرة الاعتدال . . . وبالرغم من هذا يقرر القرآن أن الحياة الأخرى خير من الدنيا وأن الكمال الروحي هو الغاية التي يجب أن يتجه إليها كل مسلم ، ولهذا يحذر الله من يركن إلى الحياة الدنيا بدون أن يستعد بالعمل الصالح للآخرة : " مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَاةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لاَ يُبْخَسُونَ . أُوْلَـٰئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلآخِرَةِ إِلاَّ ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ " (هود : ١٥ – ١٦) ، ويثني سبحانه على عباده المقربين قائلاً : " وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُواْ خَيْراً لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ ٱلآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ " (النحل : ٣٠) . فالاعتقاد بحياة أخرى أفضل من الحياة الدنيا ، هو الذي يدخل العزاء للنفوس المعذبة التي أصابتها الحياة ، كما أن هذا الاعتقاد يمد المؤمنين بقوة روحية تجعلهم لا يبالون بما يصادفون من خيبة أمل أو فشل ذريع .

وقد كانت العصبة المسلمة الأولى تعلم أن للإيمان حقيقة لا بد أن يجدها الإنسان في نفسه وأنه ليس الإيمان دعوى ، ولا كلمات لسان ، ولا هو بالتمني . . . يقول سبحانه عن هؤلاء القوم الذين لا يشقى بهم جليسهم : " إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ . ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلاَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ . أُوْلَـٰئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقّاً لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ " (الأنفال : ٢ – ٤) ومن هؤلاء الرجال الصحابي الجليل الحارث بن مالك الذي يقول :

أنه مر برسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً فقال له النبي الكريم كيف أصبحت يا حارث ؟ قال أصبحت مؤمناً حقاً . قال : " انظر ما تقول ، فإن لكل شيء حقيقة فما حقيقة إيمانك ؟ " فقال : عزفت نفسي عن الدنيا فأسهرت ليلي وأضمأت نهاري وكأني أنظر إلى عرش ربي بارزاً وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون فيها . وكأني أنظر إلى أهل النار يتضاغون فيها " . فقال عليه الصلاة والسلام : " يا حارث . عرفت فالزم " . رضوان الله على صحابة رسول الله أجمعين .

إن حقيقة الإيمان يجب أن ينظر إليها بالجد الواجب ، فلا تتميع حتى تصبح كلمة يقولها لسان ومن ورائها واقع يشهد شهادة ظاهرة بعكس ما يقوله اللسان . إن التحرج ليس معناه التميع ! والشعور بجدية الحقيقة الإيمانية أوجب ، والتحرج في تصورها ألزم ، وبخاصة في قلوب العصبة المؤمنة التي تحاول إعادة إنشاء هذا الدين في دنيا الواقع ، التي غلبت عليها الجاهلية وصبغتها بصبغتها المنكرة القبيحة .

والإسلام على شدة ما عنى بالضمير الفردي و بالتبعة الفردية ، ليس دين أفراد منعزلين ، كل واحد منهم يعبد الله في صومعته . . . إن هذا لا يحقق الإسلام في ضمير الفرد ذاته ، ولا يحققه بطبيعة الحال في حياته . . . ولم يجيء الإسلام لينعزل هذه العزلة إنما جاء ليحكم حياة البشرية ويصرفها ، ويهيمن على كل نشاط فردي وجماعي في كل اتجاه . . . وحين يوجه اهتمامه إلى ضمير الفرد فهو يصوغ هذا الضمير على أساس أنه يعيش في جماعة وهو والجماعة التي يعيشون فيها يتجهون إلى الله ويقوم فيها على أمانة دينه في الأرض ومنهجه في الحياة ونظامه في الناس .

ومن ثم نستطيع أن نتعمق حقيقة الدين والدنيا معاً ، ومعنى قول الله سبحانه : (وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَامَ دِيناً) .

دعائم النجاح في الدعوة الإسلامية

الأستاذ صفاء الدين محمد أحمد *

تعاني الدعوة الإسلامية من أزمة حقيقية في قلة الدعاة المؤهلين المؤثرين . . . على الرغم من محاولات بعض البلاد العربية توظيف أئمة في المساجد ، ممن تكون أغلبيتهم غير مجدين ، فالمحصول العلمي قليل ، والأسلوب ركيك ، والقدرة على استجاشة مشاعر الجماهير ضعيفة ، والنتيجة هي أن الشارع المسلم ، والبيت المسلم ، والمجتمع كله لم يحدث فيه ترشيد ، والجماهير لم تتعلق قلوبها بأحد من الأئمة مثلما كانت تتعلق بالكثيرين من قبل .

بالرغم من ذلك نرى أن نعالج هذه الظاهرة التي تتجسد فيما يأتي:

أولا : يجب الإيقان بأن الدعوة ليست حرفة ، وإنما هي رسالة لمن أراد الله به الخير فسخره لدعوة غيره إليه ، ولا يزال صاحب الرسالة هاوياً ، يبحث لرسالته عمن يعتنقها ويتمسك بها ، فلا يهنأ له بال ، ولا يقر له قرار إلا إذا وجد الناس منضوين تحت لوائها . . . ولا ينبغي أن يكون العمل الدعوي لكل من هب ودب ، إنما يتم اختيار الدعاة على الكفاءة والرغبة الجادة .

ثانيا: الاستعداد الشخصي : ويتمثل في أمور لا بد منها للنجاح في الدعوة الإسلامية ، ومنها :

١. الذكاء المتوسط أو المتوقد إن وجد ، فالغبي وإن حسنت نيته إلا أنه على المدى الطويل غير مجد ، وكما كان الرسل أذكى أقوامهم ينبغي أن يكون الدعاة قريبين من ذلك ، والقريحة القوية تساعد صاحبها على الفهم والاستظهار ، ولا تساويها القريحة الضعيفة .
٢. العمر الطويل ، هبة من الله ، تساعد من وهبها على إتمام الكثير مما يريد أن يدعو الناس إليه، وتتيح له من التجارب والعلوم ما لا يتاح لقُصر العمر.
٣. المثابرة والنظام ، فحياة الداعية يجب أن تكون حسب خطه مرسومة اختطها لنفسه بالتوقيت ، فوقت للقراءة ، ووقت للعمل ، ووقت للأهل ، ووقت للنوم ، ووقت لمقابلة الأصدقاء . . . لا ينبغي أن ينشغل أبدا عن

* باحث وأستاذ في الأزهر الشريف ، مصر ، محافظة الشرقية .

القراءة ، لأنها عماد نجاحه ، وقد كان بعض شيوخنا إذا جاءه زائر في وقت القراءة أمر أهله أن يصرفوه وأن يعرفوه موعد الزيارة ، بل إن أحدهم كتب على بيته موعد اللقاء .

٤. البسط في غير ابتذال : ويراد به أن تكون شخصية الداعية إماماً كان أو واعظاً أو مدرساً شخصية منفتحة على الناس ، فهو مبتسم دائماً إلا في حالات الحزن على حال الفرد أو الجماعة ، وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم منبسطاً للناس مختلطاً بهم لا يمنعه من الناس حارس ولا بواب ، الكل يعرفه إذا حضر ، ويعرف سماحته ، يرتفع به للحق منار ، وينكسف به للباطل راية ، حنون على الفقراء ، متماسك أمام الأغنياء ، ثابت الجأش أمام أصحاب السلطان .

٥. أن يتعلم آداب البحث والمناظرة، ويعرف الأجوبة المسكتة، وبعض الطرف المستملحة في غير إسفاف . . . واذكر أن مجلس الداعية الكبير المرحوم الشيخ محمد الغزالي لم يكن يخلو من ذلك مع أدب وتصون وعفة لسان .

ثالثا : حفظ القرآن الكريم حفظاً جيداً ، حتى يسيل على لسانه في سهولة كما تسيل قطرات الماء من الكوب إلى جوفه ، يعرف فضل ذلك من عمل في الدعوة ، وكيف يكون القرآن خير عون للداعية على إبلاغ دعوته ، ومعرفة تفسيره . . . وحفظ قدر كبير من السنة يجعله ورداً يومياً ، يساوق ورده اليومي من القرآن الكريم . . . والإطلاع الدؤوب على كتب الفقه والعقيدة والسيرة والأخلاق ، إضافة إلى بعض الكتب الحديثة التي تتكلم في القضايا الإسلامية والفقهية والاجتماعية ، وغيرها .

رابعا : موافقة فعله لقوله ، لأن الناس يأسرهم الفعل ، ومن كان كثير القول قليل العمل فقد قلبه القدرة على النفاذ إلى قلوب الناس ، ومن خالف فعله قوله سقط في أعين الناس فلم يعد لوعظه اثر ولا لعمله قيمة . وقد قيل : " من وعظ بقوله ضاع كلامه ، ومن وعظ بفعله نفذت سهامه " .

وقيل : " عمل رجل في ألف رجل أبلغ من قول ألف رجل في رجل " .

وقد أبدع أبو الأسود الدؤلى في ميميته العصماء في قوله:

يـــأيـــها الرجـــل المعلـــم غـــيـــره هلا لنفسك كان ذا التعليم
تصف الدواء لذي السقام وذي الضنى كـيما يصح به وأنت سقيم
وأراك تـــصلـــح بالـــرشـــاد عقولنا أبدا وأنـــت مـــن الرشاد عديم

لا تـنـه عـن خـلـق وتـأتي مثلـه عار عليك إذا فعلت عظيم
ابدأ بـنـفسـك فانهها عـن غـيهـا فإذا انتهت عنه فأنت حكيم
فـهـنـاك يقبل ما وعظت ويقتدى بالـعلـم منك وينفع التعليـم

وفى القرآن والسنة الكثير مما ينهى عن مخالفة القول للعمل تركناه لتداوله على الألسن .

خامسا : إتقان التحرك بالدعوة في المجتمعات : لا شئ أصعب من التعامل مع البشر ، وقد يكون التعامل مع الوحش الكاسر ، والمادة الصلبة أيسر من التعامل مع البشر ، لأن كل الموجودات لها ظاهر معلوم ، أما البشر فهم أهل الظاهر والباطن . . . وقديماً قيل :

يعطيك من طرف اللسان حلاوة ويروغ منك كما يروغ الثعلب

والداعية في حركته يشبه كما يقول الغربيون: السابح بين التماسيح، فهو في ويلات من أهله ومطالبهم، والمدعوين وكيفية هدايتهم . . . لذا يجب عليه :

١. التنقل وراء تجمعات الناس ، وهى سنة نبوية مباركة، فقد ذهب الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الطائف، ولقي الأنصار وغيرهم في موسم الحج.
٢. أن يكون هناك نوع من التشاور والتنسيق بينه وبين إخوانه ، حتى يكون لهم أستاذية يرجعون إليها تفيدهم بعلمها وتجاربها ، وتجنبهم النزق والطيش والعمل الفردي .
٣. التآخي في الله ، وهو سنة من السنن التي تقوم عليها المجتمعات .
٤. الصبر وهو المقدرة على تحمل الصدمات ، وتجاوز العقبات وتجنب الخصومات وبناء جسور قوية بينه وبين من يحبونه ، والتغاضي عن إساءات من يسيئون إليه ، ودعائه لهم دائما بالهداية .

كما يجب عليه التذرع بأقصى درجات اللين والدعوة إلى إشاعة الرحمة ، ونبذ السب واللعن والتفسيق والتفجير والتكفير من قاموس دعوته . . فقد جاء الدين رحمةً جمع الله بها العباد ، وأنار الأفئدة ، وأشاع التراحم والتعارف ، ولو أراده أحد غير ذلك يكون قد نكص على عقبيه بتغييره مراد الله من دينه . . . وقد قال الله تعالى مخاطباً رسوله صلى الله عليه وسلم : (وَمَآ أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) (الأنبياء: ١٠٧)، وقال تعالى : (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لاَنْفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ) (آل عمران: ٥٩) .

رسالة ميلاده صلى الله عليه وسلم

الدكتور محمد شهاب الدين الندوي الأزهري *

استهل علينا شهر ربيع الأول المبارك ، ذلك الشهر الذي يريد منا أن نودِّع كل ما كان يُفْعل من عادات جاهلية ، – من عدم الإيمان بالله ، وعدم الثقة به ، والكذب ، والفسق ، والفجور ، ونقض العهد ، والغدر ، والخيانة ، والاتهام ، والبهتان ، والتجسس ، والحسد ، والبغض ، والغيبة ، والنميمة ، والفحشاء ، والمعاصي ، والمنكر ، والبغي ، والظن ، والشك ، والبخل ، والجبن ، والمفاخرة ، والشماتة ، وصحبة الأشرار – .

لأن ميلاده صلى الله عليه وسلم هو إعلان عالم جديد ، هو إعلان ميلاد اليقين ، وإعلان ميلاد العدل ، وإعلان ميلاد إقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وحج البيت إن استطاع إليه سبيلا ، وصوم رمضان ، فإن ميلاده هو ميلاد الصدق والأمانة ، هو ميلاد العفاف و الطهر ، هو ميلاد العفو والصبر ، هو ميلاد الحلم والأناة ، هوميلاد الحب والإحسان ، هو ميلاد حفظ اللسان وكتمان السر ، هو ميلاد الوفاء بالعهد وعدم الغدر به ، هو ميلاد السخاء والرخاء والقناعة ، هوميلاد السعادة والشجاعة ، هو ميلاد إيفاء الكيل والميزان بالقسط ، هو ميلاد إيتاء ذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين في الرقاب ، هو ميلاد صحبة الأخيار ، فإن ولادته صلى الله عليه وسلم في الحقيقة هو إعلان عالم النور وتولى الظلام ، هو إعلان سيادة الرحمة المهداة مكان القسوة الغلظة ، هو إعلان رفع قيمة الانسان فوق كل قيمة مادية ، وإحياء قيم الإنسانية ومكانتها من جديد إزاء مكان الحيوانية الغاشمة والوحشية البربرية ، هو إعلان إحياء الموؤدات ، هو إعلان تقدير معاشر النساء وقيمتهن فوق كل قيمة ، لا سيما إعلان رفع قيمة من كنتَ في بطنها

* أستاذ بالجامعة الرحمانية ببلدة مونغير (الهند) .

عندما تنفخ فيك الروح وهي متألمة ، وكنت في حضنها عند ما كنت تبكي وهي ضعيفة مسكينة ، وكنت في قلبها عند ما كنت تعشق وتحب وهي في ريعان شبابها ، وكنت تتمتع باعتنائها وخدمتها وحفظها عندما كانت مسنة عاجزة ، وليس كما تعرض البنات والنساء اليوم للاستعمال فقط بأسامي عديدة بارزة مفخرة لها في ظاهرها ومقبرة لها في داخلها .

فإن ولادته صلى الله عليه وسلم هو إعلان ميلاد الحق وزهاق الباطل ، هو إعلان بقاء عرش الصدق وذهاب سلطنة الكذب ، هو إعلان عدم التساوي بين من يعلم ومن لا يعلم ، وتحديد الدرجات الحقيقية بين من يعلم خالقها كما ينبغي وبين من لا يعلم إلا سطحِيًّا ، هو إعلان التعاون على البر والتقوى وعدم التعاون على الإثم والعدوان ، هو إعلان رفع الضعيف وخضع القوي الباطل ، هو إعلان خفض الجناح للمؤمنين والغلظة مع الكافرين ،هو إعلان تحريم ما كان ضاراً له وتحليل ما كان صالحاً له ، هو إعلان بسط الرزق لمن يصل بالرحم وقدره لمن يقطع ، هو إعلان إقامة الجدار المنقضة بدون الأجر مكان إباء التضييف ، هو إعلان درء السيئة بالحسنة ، وليس درء السيئة بالسيئة كما هو المتعاهد اليوم ، هو إعلان إحياء نظام الصبر في المعاملة والاستقامة في العبادة ابتغاء وجه الرب ، والإنفاق مما رزقه الله وعدم التقتير على من يعول ، هو إعلان إنشراح الصدور مكان التضييق ، ووضع الوِزْرِ عنه مكان الأثقال الذي تنقض ظهره ، إعلان انبعاث الهدى والرحمة والبشرى لمن آمن به ، والخسارة لمن أنكر ، هو إعلان سيادة الخوف والخشية من الله تعالى بدل الخوف من المخلوق ، وأن اطمينان القلوب بذكر الله وليس بالغناء الباطل ، هو إعلان أن الحياة حياة الآخرة وأن الدنيا ما هي إلا متاع قليل . هو إعلان طلوع هذه الأمة وسطاً لتكون شهداء على الناس ، هو إعلان أن المصلحين في الأرض عاقبتهم حسنة وأن المفسدين فيها نتيجتهم سيئة ، ففي الجملة هو إعلان دفن عادات وتقاليد ورسوم وبدع الجاهلية كلها ، فإذا كنا قد نجحنا في إنهاء هذه العادات السيئة والخرافات الجاهلية ، وصدقنا في الالتزام بالعادات الحسنة

الصالحة والصفات الطيبة التي نقلت من فم الحبيب السيد محمد صلى الله عليه وسلم نكون قد صدقنا في احتفال ميلاده صلى الله عليه وسلم ، لأنه قد بعث فعلاً بهذه الأمور والشؤون كلها .

فهل يا تُرَى نرى أنفسنا هل طبقنا بعضًا مما سبق أو جُلاًّ مما سبق أو كُلاًّ مما سبق قبل إظهار محبته وفرحة ميلاده صلى الله عليه وسلم ! لأن العيد من صام رمضان فقط وليس لمن أفطر ! .

والآن قد حان الوقت لكي نتجاوب مع أمير الشعراء أحمدشوقي – رحمه الله – وما أصدق ما قاله في مولد الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم :

وُلِدَ الهُدَى فَالكائِناتُ ضياءُ وَفَمُ الزَّمانِ تبَسُّمٌ وَثَناءُ
الـرُّوحُ وَالمَـلأ المَـلائِكُ حَوْلَهُ لِلدِّينِ وَالدُّنَيا بِهِ بُشَراءُ

وما من مسلم إلا وقلبه مليئ بحب النبي صلى الله عليه وسلم ، وما يتوافر في قلب هذه الأمة من محبة الرسول لا يوجد الجزء المئوي منها في قلب أي أمة تجاه رسوله ، ولم لا ! لأن محبة هذا النبي الشديدة هو جزء رئيسي للإيمان ، والمؤمن الحقيقي يضحي بكل ما كان عنده لأجله ، حتى نفسه لأجل بقاء قدسيته واحترامه وحبه صلى الله عليه وسلم .

فالآن نحن على عتبة احتفال مولد النبي صلى الله عليه وسلم ، وإظهار حبنا تجاهه ، فإن تصرفات المحبين تختلف حسب حبهم وعلمهم لقدر ومنزلة الحبيب صلى الله عليه وسلم ، فالكل لسنا سواء بشأن حبه وإظهاره ، وهو الكنز الدفين الذي يجيش به قلب كل مسلم صادق . وإظهار هذا الحب وظيفة كل مسلم .

ولكن قبل أن نبدي هذا الحب ، لا بد لنا أن نعرف ما هو قدر المحبوب ومنزلته ؟ وما هي مفضلاته ؟ ثانيًا : وما هو الطريق الأمثل لإظهار حبه المثالي صلى الله عليه وسلم ، حتى لا نخطأ في تمثيله .

فإذا لم نفهم هذا يكون قد أخطأنا في حقه ، فنوعية المحبة تختلف حسب الأشخاص، فالأب يحب ابنه ، وبنته ، وزوجه ، وصديقه، وزميله، وأستاذه ، وتلميذه ، وشيخه ، ومريده ، ومالكه ومملوكه ، ولكن نوعيتها تختلف عند الجميع ، فحبه لابنه يختلف عن حبه لزوجه ، وحبه

لزوجه يختلف عن حبه لبنته ، وحبه لصديقه يختلف عن حبه لزميله ، كذلك حبه لأستاذه يختلف عن حبه لتلميذه ، وكذا حبه لشيخه يختلف عن حبه لمريده ، فكما أن الحب يختلف باختلاف الأشخاص كذلك إظهاره وتمثيله يختلف حسب اختلاف الأشخاص .

فإن أخطأنا في فهم هذا الشيئ الرئيسي يكون قد أخطأنا في إظهار حبه صلى الله عليه وسلم ،وإن أخطأنا في إظهار حبه ، نكون قد أخطأنا في شأنه صلى الله عليه وسلم ، لأن هذا الجناب عال عند الله سبحانه وتعالى ، فإن كنا قد ظننا بأننا فعلنا كذا وكذا والأمرغير ذلك، أو الأمر عكس ذلك تماما . فيكون كما قال الله سبحانه وتعالى: { ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً } [الكهف : ١٠٤] . لأن كثرة الحب تورث الاتباع وليس الابتداع . قال الله تعالى : { قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّـهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ } [آل عمران : ٣١] ، نزلت هذه الآية في من ادعى محبة الله وهو على غير الطريقة المحمدية فهو كاذب في نفس الأمر ،ولذا قال بعض العلماء : ليس الشأن أن تُحِبَّ إنما الشأن أن تُحَبَّ .

قال الإمام الحسن البصري رحمه الله : زعم قوم أنهم يحبون الله فابتلاهم الله بهذه الآية .

فمهما ادعينا حبه صلى الله عليه وسلم بدون السير على هديه لا يمكن أن نصل إلى المطلوب ، لأننا خالفنا الطريق الذي يوصلنا إليه ويؤدينا إلى الجنة ، فحالنا يكون إلى حد ما إن كان التعبير صحيحًا مثل حال أبي طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم كان يحبه كثيرًا ، ولكنه ما كان يمشي على طريقه ، فحبه ما نفعه .

وكذلك إن مشينا على طريقه ولم يكن في قلبنا حب حقيقي راسخ تكون حالنا مثل حال المنافقين الذين مشوا على طريقته ولم تمتزج قلوبهم بمحبته الشديدة صلى الله عليه وسلم فإنهم إن أطاعوه ظاهرًا ، ولكن هذه الطاعة لم تفدهم في الآخرة وما أنجتهم من النار . { إِنَّ ٱلْمُنَافِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً } [النساء : ١٤٥] .

وكذلك إن أخطأنا في استخدام الكلمات التي تقدح شخصيته حقيقة ونحن نظن بأننا نرفعه أو نعظمه ، أو نبدي انتسابنا له ، وهو بعيد كل البعد عن هذا أو على العكس يؤذيه صلى الله عليه وسلم ، فالبعض منا يتوخى إظهار حبه ولكنه يأتي بالمنكرات .

فمن فضلك تفكر يا أخي هل فعلك هذا ينبئ عن إظهار حبك للنبي محمد صلى الله عليه وسلم ؟ !

هناك نقاط هامة تجاه حبك للنبي محمد صلى الله عليه وسلم .

- دراسة سيرته الطيبة صلى الله عليه وسلم .
- إطلاعك على سيرته صلى الله عليه وسلم للجيل القادم ولإخوانك الوطنيين .
- توصيل تعليماته الانسانية إلى البشرية جمعاء .
- كثرة الصلاة عليه .

يجب على كل محب ومتبع أن يدرس سيرته صلى الله عليه وسلم دراسة ميدانية ويتعمق في تصرفاته صلى الله عليه وسلم لم ؟ ولماذا ؟ ومتى ؟ لكي يصحح مسار حياته في الأطوار المختلفة ،لأن البيئة تتطلب منا لا سيما جيل الأطفال والشباب أن نذكر سيرة النبي محمد صلى الله عليه وسلم في طفولته ، وكيف كانت حالته في أيام الطفولة ، وفي شبابه ، وكيف كانت حالته في أيام شبابه ، وكيف كانت حالته في أيام شيخوخته ، لكي يسهل لهم تناول سيرته صلى الله عليه وسلم من حيث هو في أعماره المختلفة ، لأن هذه الطريقة والكيفية هي أقرب إلى فهمهم ، وأشد تأثيرا لنفوسهم ، فإذا استغللنا هذا الشهر لبث رسالته صلى الله عليه وسلم على جميع الحيثيات والأطوار يكون قد نجحنا في احتفال ميلاده وفي نشر رسالته صلى الله عليه وسلم الذي هو رسالة هذا الشهر المبارك .

وأيضاً ينبغي لنا أن نجهز البرامج الإلكترونية والكتيبات المزودتين بسيرته العطرة في جميع شؤنه – في السلم وفي الحرب – صلى الله عليه وسلم بصورة حسنة لافتة للنظر وجذابة للقلب ومشجعة للغاية ،

ثم يتم توزيعها على إخواننا الوطنيين أيضا لكي ننجح في إيجاد حالة التحمل في جو عدم التحمل .

وحتى نتعرف وهم يتعرفون أيضا على نعمة الإسلام ونعلم سويا أن نعمة الإيمان أعظم من جميع النعم ، وكل نعمة من نعم الله تعالى تستحق التقدير والاحترام ، ولن تضاهي أي نعمة من نعم الله سبحانه وتعالى نعمة الإيمان ؟

فإذا كان الانسان متزوداً بنعمة الإسلام فكل نعمة تتجمل عليه ، وإن حرم من الإسلام ، فكل نعمة تقبح عليه وهي زائلة وفانية ، قال الشاعر :

ألا كل شيئ ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زايل

وحذار وحذار أن تكون حركاتنا وتصرفاتنا في إظهار حبه أو فرحة ميلاده صلى الله عليه وسلم مثل الغير ، لأنه صلى الله عليه وسلم أكثر ما كان ينكره هو مشابهة غير المسلمين ، حتى إنه ما كان يحب مشابهة الغير ولو في اللباس والقماش والحضارة والتمدن والثقافة ، فيكف في إظهار حبه وفرحة ميلاده صلى الله عليه وسلم ! ولكنه على الأخص كان ينكر التشبه أشد الإنكار في الأمور الدينية ، ولذا قال صلى الله عليه وسلم : « مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ » أخرجه أبو داود في " سننه " في اللباس ، باب في لبس الشهرة (٤/٤٤/ رقم : ٤٠٣١) وهو صحيح . فالأفكار في السطور الأخيرة بعضها مأخوذة من فكر الأستاذ الفقيه السيد مولانا خالد سيف الله الرحماني وبعضها من فكر الأستاذ مولانا أسرار الحق القاسمي .

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لهديه صلى الله عليه وسلم ويوصلنا إلى أعلى المراتب والدرجات في الجنة ، وهو الفردوس الأعلى . آمين ثم آمين يا رب العالمين .

وصلى الله تعالى على خير خلقه محمد وعلى آله وصحبه وبارك وسلم .

الفقه الإسلامي والقضايا المعاصرة الحديثة

فقه الأقلية وأبعاده الدينية والاجتماعية

د . جمال الدين الفاروقي
وينـاد ، كيرالا

المسلمون في معظم بلدان العالم يتشكلون أقلية السكان ، وهم في بعض البلاد مثل الهند أصليون ، وفي البعض الآخر مهاجرون أو مغتربون ، هؤلاء وأولئك يتعرضون لمشاكل تختلف عن نظيرها في المجتمع الإسلامي المحض حيث المسلمون أغلبية . والأقلية على حد تعبير الشيخ يوسف القرضاوي " كل مجموعة بشرية في قطر من الأقطار تتميز عن أكثرية أهله في الدين أو المذهب أو العرق أو اللغة أو نحو ذلك من الأساسيات التي تتمايز بها المجموعات البشرية بعضها عن بعض " [1] . وهذا التعريف هو بالذات من المنظور القانوني والسياسي . وتدل الإحصاءات على أن ثلث السكان المسلمين يعيشون أقلية في دول غير مسلمة . ومن الضرورة النظر في ما يطرأ عليهم من المشاكل التي تهم دينهم ودنياهم والتوصل إلى حلول مؤثرة ذات الامكان التطبيقي حتى يستطيعون الحفاظ على هويتهم الدينية مواكبين محيطهم السياسي والثقافي والاجتماعي. وفقه الأقلية يتولد من هذا المنطلق، ويمكن تعريفه بأنه " الأحكام الفقهية المتعلقة بالمسلمين الذين يعيشون في الدول والمجتمعات غير الإسلامية " . وينبغي أن نتذكر أن الشريعة الإسلامية ومقوماتها ثابتة بينما تكون الظروف والأحوال متغيرة ، ودراسة قضايا الأقلية ومشاكلهم تتطلب منا تجديد الفقه وتحديث أبحاثه بما يحفظ على المسلمين حقوقهم الدينية والمدنية ، مما يوجب على المجتهد أن يسلك في هذا الموضوع مسلك المرونة والتيسير .

والإشكالية الكبرى لدينا بهذا الصدد عدم وجود مرجعية واضحة المعالم التي تتناول قضايا الأقليات ، وقد جرت اجتهادات الفقهاء المتقدمين على أساس أن المسلمين دائماً يعيشون في دار الإسلام . والحلول المقترحة في كتبهم قد لا يناسب المشاكل المستحدثة في العالم الواقع . والفقهاء القدماء كانوا يقسمون البلاد إلى دار الحرب ودار السلام . ووضعوا أحكاماً تتعلق

[1] فقه الأقليات عند الشيخ القرضاوي ، إعداد : حسين حلاوة . ص : ٥ .

بهما ، و معيار هذا التقسيم ، وإن كان فيه بعض وجوه الحق ، إلا أنه يجب التحديث فيه بما يناسب روح العصر . وجميع الدول ذات العضوية في هيئة الأمم المتحدة تخضع للتعليمات والقوانين المتفق عليها دولياً ، والتي تضمن لكل المواطنين حقوقهم الشخصية وحريتهم الدينية ، سواء كانت الدولة اشتراكية أو علمانية أو ديمقراطية أو ملكية . فالمسلم المواطن في مثل هذه البلاد يتمتع بحريته للحفاظ على عقيدته وإقامة شعائره الدينية . وعلى هذا الأساس لا يمكن أن نصف البلاد مثل الهند بـ " دار الكفر أو دار الحرب " . وقد تكون هذه التسمية توحي للآخرين بعض نزعات المعارضة والمطاولة . بل الأحرى بنا أن نسميها دار دعوة ودار تعارف وتفاهم حتى يمكن الأقلية للتعايش السلمي مع الأكثرية من ذوي الأديان الأخرى . والدستور الهندي الديمقراطي يسمح لكل مواطن بالحرية الكاملة لاعتناق ما يحب من الأديان ونشر مبادئه . والمسلمون الهنود يقيمون الشعائر الدينية بفضل هذا الدستور . وكان من المشئية الإلهية أن يجد المسلم المتقي ثوابه عند الله ويتمكن من التقرب إليه زلفى أينما يعيش وحيثما يستقر . لا فرق بين من يعيش تحت سقف الكعبة ومن يعيش في أقصى آفاق المعمورة .

أهداف هذا الفقه :

وحين نقوم بتأصيل فقه الأقليات يجب أن يخطر ببالنا موقف الإسلام من مثل هذه القضايا وكيف كان يعالجها الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة رضوان الله عليهم . والدين يقيم التكلف على حسب طاقة الأفراد ووسعهم ، والله يقول : " لاَ يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا " . والشريعة تتضمن العزائم والرخص ، الأولى وُضعت لأهل القوة والتمكين ، بينما الرخصة جاءت لأهل العذر والضعف حين يضيق بهم المقام بتأثير الظروف والأحوال . وجوهر الإسلام في كليهما واحد وحيد غير قابل للتغيير والتحديث ، كما يدل عليه الحديث الشريف " بني الإسلام على خمس ... " والذي يغزو إليه الدين هو إصلاح الباطن بالإيمان بالله والتوكل عليه والاستسلام لقدره وقضائه ، كما أن الدين بظاهره يجب أن يتمثل في الفضائل من الصدق والأمانة والنزاهة والتسامح الخلقي ، مما لا يختلف فيه الأقلية عن الأكثرية . وإنما الحاجة بالنسبة إلى فقه الأقلية في معالجة بعض الجزئيات بحيث ينسجم مع الظروف الخاصة بهم . ويمكن الحفاظ على الأهداف الأساسية للشريعة مع ممارسة هذه الجزئيات

بشيئ من التسامح الفقهي بهدف رفع الحرج عن المتكلفين ، كما يدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم : " ما أحل الله في كتابه فهو حلال وما حرم فهو حرام ، وما سكت عنه فهو عفو ، فاقبلوا من الله عافيته ، فإن الله لم يكن ينسى شيئاً " والأمور التي سكت فيها الشارع هي مجال العمل للعقل الإسلامي في كل عصر ومصر .

كما يمكّننا تأصيله أن نقوم بتثقيف مجتمع الأقلية وتربيتهم بما يقتضيه الظروف ، حتى يستطيعون الحفاظ على هويتهم وحقوقهم ، وبالتالي يتسنى الفرصة لديهم لحياة وادعة بلا حرج ولا ضيق من حيث المعتقدات والعادات ، ولنشر دينهم في جو أليف آمن ، ومن جهة أخرى يتفسح المجال للحوار السليم والمثمر بين أتباع المعتقدات المختلفة ، فيتم به التفاهم والتفاعل بينهم ، بحيث نجد الفرصة لإبراز محاسن الشريعة وإقناع العالم بفاعليتها وتطبيقها ، مما سيصير هذا كله من أهداف فقه الأقلية .

ولا بد أن تكون الركيزة الأساسية للدراسة والبحث في فقه الأقلية تلك الآية الكريمة حيث يقول تعالى : " لاَّ يَنْهَاكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ " (سورة الممتحنة : ٨) والتعامل الاجتماعي والمدني والثقافي مع الأكثرية غير المسلمة في البلد يجب أن يكون على هذا الأساس .

خصائص فقه الأقليات :

وأما من حيث الخصائص والميزات لهذا الفقه ، فأول شيئ يجب الإشارة إليه هو أن هذه المسيرة الفقهية تجمع بين عالمية الإسلام وواقع المجتمعات . والدراسات فيه ينبغي أن تكون على المرونة والأخذ بمبدء التيسير ومراعاة الأحوال في كل ما يطرح عليه من القضايا ، مما نسميه " فقه النوازل " حيث يجب أن يجري الاجتهاد والبحث فيه بصورة منتظمة جمعاً بين مقومات الشريعة الثابتة والمنافع المعاصرة التي لا يمكن تجنبها والتحرر منها . وإليه يشير قول العلامة ابن القيم : " فالعالم من يتوصل بمعرفة الواقع والتفقه فيه إلى معرفة حكم الله ورسوله " . ومجال الفقه الإسلامي خاضع للبحوث المستمرة ، والمناهج التي نعمد إليها للبحوث تختلف باختلاف الظروف والأوضاع ، إلا أن النتاج الفقهي ينبغي أن يبقى فاعلاً ملموساً يواكب متطلبات الحياة قدر الإمكان ، فيمكن صياغته في قالب الفقه المعاصر الأكثر حيوية والأدوم

إبداعاً . وقد أكدت الشريعة على تحقيق مقاصدها ضماناً لسلامة الإنسان وأمنه وبقاء ذريته فوق المعمورة . وهذه المقاصد كما اتفق عليه العلماء خمسة : حفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال . وكل ما يقدم من مشاكل الأقليات في العالم يتعلق بواحد من هذه الخمسة . والنظر في فقه الأقلية يجب أن يكون من منظور الحفاظ على هذه المقاصد ، بحيث تجلب المنافع إلى الإنسان ونفي الضرر عنه . وهذه المقاصد هي بالذات تصبو إلى سلامة المجتمع واستثمار مواردهم وتحقيق تطلعاتهم . والشريعة بوضع هذه المقاصد تهدف إلى خلق المجتمع البشري كبنيان مرصوص متماسك أجزاؤه .

وهذا المنحى الاجتهادي في الفقه لم يكن يعارض أصول الشريعة . والله يقول : يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ (سورة البقرة : ١٨٥) ويقول أيضاً : وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ (سورة الحج : ٧٨) . كما نجد في قوله تعالى: وَكَذٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً (سورة البقرة : ١٤٣) وقوله صلى الله عليه وسلم " إن هذا الدين يسر ، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه " [١] وفي رواية يقول عليه السلام : " إن خير دينكم أيسره " [٢] . وتنطلق الأبحاث في فقه الأقليات من هذه المقومات النصية . والقضايا التي تندرج في هذا الفقه لا بد أن يتناولها المجتهد برؤية معتدلة وبتسامح فقهي بعيداً عن التحيز والتعصب المذهبي . ولا يجوز له إلزام الناس بقول واحد ، بل يترك لهم فرصة التخيير أخذاً بمبدأ الأيسر والأسهل ، كما ورد ذلك في قوله صلى الله عليه وسلم : " ما خير رسول الله بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثماً ، فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه " [٣] والفقه المعاصر الذي يتمثل فيه فقه الأقلية والذي يصاغ من هذه المبادئ ينقذ المسلم من السفاهة والعمل بها ويقوده إلى الرشد الأقرب إلى الهدى والتقوى ، كما يغلق أمامه أسباب الهدم ويفتح مكانه مسببات البناء . فكل شيئ يحدث في محيط الأقلية يجب أن يتم النقاش المستفيض فيه من قبل العلماء من ذوي الخبرة والبصيرة فيمكن التوصل إلى الحل الحاسم ، كما ينطلق هذا المفهوم من قوله تعالى : " وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُوْلِى

[١] رواه مسلم ، رقم الحديث ٢٨١٦ .
[٢] مسند أحمد ، ٣/٤٧٩ .
[٣] رواه مسلم ، برقم ٢٣٢٧ .

ٱلأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلاَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً " (سورة النساء : ٨٣) وقد أجمع العلماء على السلوك الفقهي المتزن تجاه المسائل الطارئة ومن قواعدهم المعترف بها " الأمور بمقاصدها والعادة محكمة ولا ضرر ولا ضرار ، ودرء المفسدة أولى من جلب المنفعة " .

منهجية الدراسات في فقه الأقلية :

يجب أن ننتبه إلى المناهج الواجب اتباعها في سياق الدراسات الفقهية في الموضوع . ويأتي في طليعتها النصوص من القرآن والأحاديث النبوية لكونهما المصدر الرئيسي للشريعة ، ولا يجوز التهاون في الأوامر والنواهي التي يتضمنها القرآن والأحاديث والتحايل عليها . ثم يأتي النظر في موقف الصحابة رضوان الله عليهم من المسائل الفقهية التي طرأت عليهم حين اتسعت رقعة البلاد الإسلامية ، وقد وقع الاختلاف بين الصحابة في كثير من المسائل التي من خلالها يمكن تحديد سلوكنا الفقهي المعتدل . والنظر في مصلحة الناس تتشكل غاية الأهمية في هذه المنهجية . كما يشير إليه العلامة ابن القيم رحمه الله : " إن الشريعة مبناها وأساسها على الحكم بمصالح العباد في المعاش والمعاد . وهي عدل كلها ورحمة ، ومصالح كلها حكمة ، فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور وعن الرحمة إلى ضدها ، وعن المصلحة إلى المفسدة وعن الحكمة إلى العبث فليست من الشريعة " .

حتى إن بعض الحلول التي نجدها مناسبة لبلد ما ، لا يمكن أن نقيس عليها قضايا البلد الآخر ، فالمسألة واحدة متماثلة ، ولكن الحلول تكون مختلفة متنوعة . والسؤال القديم يكفيه الإجابات القديمة ، أما القضايا الجديدة فلا بد من صياغة رد مناسب يقبله الدين والعقل معاً .

مشاكل الأقليات :

والأقلية في كل زمان ومكان يواجه من المشاكل ما لا يمكن حصره في مثل هذا المقال . وفيما يلي بعضها :

- ماذا يكون موقف الأقلية المسلمة نحو الأحوال الشخصية ، في حين تعمد الحكومة إلى التوحيد بين كل القوانين حتى يلتزم المواطن بقانون الدولة الموحد .
- في حالة عدم وجود مقبرة خاصة للمسلمين في دولة ، هل يجوز لهم دفن موتاهم في المقابر العامة حيث يشاركها أهل كل الأديان .
- صلاة الجمعة لا يمكن القيام بها في وقتها المحدد لها في بعض دول

أوروبا وأمريكا ، إذ يعطي النظام الإداري وقتاً للغداء حسبما يقتضيه العرف والعادة لديهم ، قد يتقدم أو يتأخر عن موعد الجمعة وخصوصاً في أيام الشتاء حيث يقصر النهار ، وفي أيام الصيف حيث النهار طويل . وهل عليهم أي بأس لو أقاموا الجمعة في الوقت المسموح لهم للغداء ؟

- ماذا بالنسبة إلى ميراث الوارث غير المسلم ، هو لا يستحق شيئاً في المنظور الديني ، بينما لو رفعت القضية إلى المحكمة العامة ليجد نصيبه منه . وهل يجوز للوالد المسلم أن يمنع ولده المارق عن الوراثة .
- المدارس العامة ، إذا لم تسمح للمرأة المسلمة بالحجاب ، فهل يجوز لها التنازل عن حقها والتسامح في زيها الإسلامي ، أو تترك التعليم باتاً حتى تجد فرصة أخرى مناسبة لثقافتها الدينية .
- إلى أي مدى يستطيع المسلم في هذه الحالات أن يشارك في عمليات الانتخابات ، وإلى أي مدى يصح التحالف مع الأحزاب الأخرى للحفاظ على حقوق الأقلية .
- هل يجوز التعامل مع الهندوكية في الهند على أساس أنهم جزء من أهل الكتاب ؟ وماذا بالنسبة إلى المرأة التي أسلمت ولم يسلم زوجها ، هل جائز البقاء معه أم يجب التفريق بينهما .
- هل يجوز للمسلم المستمسك بهويته تماماً ، المشاركة في أعياد الهنادكة ، ليس بنية تعبدية ، بل للتفاعل الثقافي معهم وإظهار تقارب القلوب ، مما له شأن في الرعاية والمصلحة الاجتماعية .
- هل يجوز للمسلم الهجرة من بلده إلى بلد آخر زعماً منه أنه لا يمكن البقاء في الأول محتفظاً بهويته الدينية . وإلى أي مدى يلتزم بالوفاء نحو بلده .
- بالنسبة إلى العرف والتقاليد ، إلى أي مدى يتفاعل المسلم في مجتمع الأقلية معها .
- هل يجوز بناء المسجد أو المدرسة الدينية مخالفاً لقوانين البناء في دولة ، وهل يجوز إعطاء الرشوة للمسؤولين لجلب المنافع للمسلمين ورفع الأذى عنهم في حالة المضايقات الإدارية .

ولسنا بمعرض الإجابة وإصدار الفتاوى على هذه القضايا . وإنما أوردناها لنعلم أن الأقلية في كل البلاد يتعرضون لها ، وللحفاظ على هويتهم الدينية والثقافية ، ولئلا يصيروا عرضة للدمار والفساد الخلقي والانعزال الاجتماعي يجب أن يكون التدخل السريع والمستمر من قبل العلماء والفقهاء .

دراسات وأبحاث أدبية وتاريخية

إطلاق كلمة " المُسْنِد " في مصطلح الحديث

(الحلقة الثانية الأخيرة)

الأستاذ أبو أنس رفيع الله المروتي*

تعريف المسند عند الباحث :

المسند من سمع حضوراً أو أُجيز له بالرواية في صغره ثم عُمِّر وتفرد فعلاً سنده وكثرت روايته .

شروط المسند :

الشروط للتوصيف بهذا الوصف المستنبطة في هذه الدراسة قدر المستطاع هي ما يلي :

١. إدراك الشيخ والسماع منه في الصغرحضورا في مجلسه ، أو أن يجيز له الشيخ بالرواية عنه حتى يدرك الأسانيد العالية ، فإن لم يدرك أو أدرك ولم يسمع منه ، ولم يجز له بالرواية عنه لا يصبح المسند كما سبق .

٢. أن يُعَمَّر عمراً طويلاً إلى أن مات أقرانه ، وبقي وحده ، وتفرد بالرواية عن شيوخه ، فينتهى إليه علو الإسناد ، وأن يُقصد إليه من مختلف البلاد لعلو الإسناد ، وسأذكر بعض الأمثلة ؛ فبالمثال يتضح الحال : أبو القاسم علي بن أحمد بن محمد الرزاز البغدادي ، (م ٤١٣هـ – ٥١٠هـ) أسمعه والده في صباه ، وانفرد بالرواية عن أكثرهم وعُمِّر ، وصارت الرحلة إليه [١] ، كان يقول : أنتم ما تطلبون الحديث والعلم ، أنتم تطلبون العلو ، وإلا ففي دربي جماعة سمعوه مني ، فاسمعوه منهم ، ومن أراد العلو ، فليزن ديناراً [٢] .

وإن أبي علي بن القيم الحسن بن عمر ابن الدمشقي الكردي

---

* الأستاذ المشارك في قسم التخصص في الأدب العربي بجامعة ابن عباس – رضي الله عنهما – (كراتشي) .

[١] الصفدي ؛ الوافي بالوفيات ، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (ت ٧٦٤هـ) ، المحقق : أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى ، دار إحياء التراث – بيروت ، ١٠٤/٢٠ .

[٢] سير أعلام النبلاء ٢٥٨/١٩ .

(٧٢٠هـ) أسمعه حضوراً في الرابعة من ابن اللتي كثيراً فخفي خبره غالب عمره إلى سنة اثنتي عشرة وسبعمائة ، فعرف بثبت كان معه ، فأقبل إليه الطلبة [١] .

وأما المسند ابن الشحنة (م ٦٢٠هـ – ت ٧٣٠هـ) لم يظهر أمره للمحدّثين إلى أن وجد سماعه في أجزاء على أبي المنجا ابن اللتي أولا أثناء سنة ست وسبع مأة ، وثم ظهر اسمه في كراس أسماء السامعين بالجبَل صحيح البخاري على ابن الزبيدي سنة ثلاثين فحدث بالجامع بضعاً وسبعين مرة اشتهر اسمه وبعد صيته وألحق الصغار بالكبار [٢] .

٣. أن يكثر الرواية بعد أن علا سنده وارتفع شأنه حتى يلحق الصغار بالكبار ، والأَبْنَاء بالآبَاء ، والأَحفَادَ بالأَجدَادِ حسب المراتب وإليك بعض الأمثلة :

١. الحسن بن عرفة بن يزيد العبدي أبو علي العبدي ، البغدادي ، (م ١٥٠هـ – ٢٥٧هـ) عاش مائة وعشر سنين ، كان يقول : كتب عني خمسة قرون . قال الحافظ الذهبي : يعني خمس طبقات : فالطبقة الأولى ابن أبي حاتم ، والثانية ابن أبي الدنيا ، الثالثة طبقة ابن خزيمة ، الرابعة طبقة المحاملي ، الخامسة الصفار . وصفه الحافظ الذهبي بـ " مسند وقته ، وانتهى علو الإسناد اليوم ، وهو عام خمسة وثلاثين إلى حديث الحسن بن عرفة ، كما أنه كان سنة نيف وستين وست مأة أعلى شيئ يكون [٣] .

٢. عبد الله بن محمد بن عبد العزيز أبو القاسم البغوي الأصل البغدادي (م ٢١٤هـ – ٣١٧هـ) وعاش مأة سنة وثلاث سنين ، وصفه الذهبي بـ " مسند الدنيا ، وقال : حرص عليه جده ، وأسمعه في الصغر ، بحيث إنه كتب بخطه إملاء ، في ربيع الأول ، سنة خمس وعشرين ومأتين ، فكان سنه يومئذ عشر سنين ونصفاً ، ولا نعلم أحداً في ذلك العصر طلب الحديث وكتبه أصغر من أبي القاسم ، فأدرك الأسانيد

---

[١] الوافي بالوفيات ، ١٢٢/١٢ .

[٢] أعيان العصر وأعوان النصر ، للشيخ الصفدي ، المحقق الدكتور علي أبو زيد ، ورفقاؤه ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، ط : الأولى (١٤١٨هـ – ١٩٩٨م) ٤٠٥/١ .

[٣] سيرأعلام النبلاء ٥٤٧/١١ .

العالية "[1] . وقال الصفدي : وتفرد في الدنيا بعلو السند[2] . قال أبو محمد الرامهرمزي : لا يعرف في الإسلام محدث وازى البغوي في قدم السماع[3] .

٣. محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن عبدويه أبو بكر البغدادي ، البزار ، صاحب الأجزاء (الغيلانيات)[4] العالية ، وراوي جزء ابن عرفة (م ٢٦٠هـ – ٣٥٤هـ) حلاه الذهبي بـ " مسند العراق " ، وقال عنه : " أول سماعه في سنة ست وسبعين ومأتين ، ومن فاتته (الغيلانيات) و (القطيعيات)[5] ، وجزء الأنصاري ، نزل حديثه درجة ، ثم لم يجد شيئاً أعلى من حديث البغوي ، ثم ابن صاعد ، ومن فاته حديث هذين ، نزل إلى حديث المحاملي ، والأصم ، وإسماعيل الصفار ، طال عمر أبي بكر الشافعي ، وتفرد بالرواية عن جماعة ، وتزاحم عليه الطلبة لإتقانه وعلو إسناده[6] .

٤. أبو محمد عبد الواحد بن عبد الرحمن بن القاسم الزبيري ، البخاري ، الوركي (ت ٤٩٠) وصفه الذهبي بـ "مسند الدنيا ، وقال : " رحل الناس إليه من الأقطار " . وقال أبو سعد السمعاني : " عمر الوركي مأة وثلاثين سنة ، وبين كتابته للإملاء عن أبي ذر عمار بن محمد

---

[1] سيرأعلام النبلاء ١٤/٤٤٠ .

[2] الوافي بالوفيات ١٧/٢٥٩ .

[3] قال الذهبي : أما إلى وقته فنعم ، وأما بعده ، فاتفق ذلك لطائفة منهم : عبد الواحد الزبيري – مسند ما وراء النهر – ولأبي علي الحداد ، وبالأمس لأبي العباس بن الشحنة . سير أعلام النبلاء ١٩/٢٥٨ .

[4] هي أحد عشر جزءاً تخريجاً لدار قطني من حديث أبي بكر محمد بن عبدالله بن إبراهيم البزار (٣٥٤هـ) وهو القدر المسموع لأبي طالب محمد بن محمد بن إبراهيم بن غيلان البزار (٤٤٠هـ) من أبي بكر المذكور ، وهي من أعلى الحديث وأحسنه . انظر (الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة) للكتاني (المتوفى: ١٣٤٥هـ)، المحقق : محمد المنتصر بن محمد الزمزمي، دار البشائر الإسلامية، ط : السادسة (١٤٢١هـ –٢٠٠٠م) ، ص ٩٢ .

[5] هي خمسة أجزاء لأبي بكر أحمد بن جعفر بن حمدان ببغداد مسند العراق المتوفى سنة ثمان وستين وثلاث مأة . (المصدر السابق) .

[6] سير أعلام النبلاء ١٦/٤١ .

صاحب يحيى بن صاعد ، وبين موته مأة سنة وعشر سنين " [1] .

٥. علي بن أحمد بن محمد بن بيان أبو القاسم البغدادي ، (م٤١٢ هـ – ت٥١٠هـ) لقبه الذهبي بـ " مسند الدنيا في عصره " ، وقال الصفدي : " أسمعه والده في صباه ، وانفرد بالرواية عن أكثر شيوخه وعُمِّر ، وصارت الرحلة إليه ، وكتب عنه الأئمة والحفاظ ، وروى عنه الكبار [2] . كان آخر من حدَّث بنسخة ابن عَرَفَة [3] . قال الصفدي " أسمعهُ وَالِده فِي صباه ، لا يعرف في الإسلام محدث وازاه في قدم السماع [4] . كان يقول : أنتم ما تطلبون الحديث والعلم ، أنتم تطلبون العلو ، وإلا ففي دربي جماعة سمعوه مني ، فاسمعوه منهم ، ومن أراد العلو ، فليزن ديناراً [5] .

٦. هبة الله بن محمد بن عبد الواحد ، أبو القاسم الشيباني ، الهمذاني الأصل ، البغدادي ، (م ٤٣٢هـ _ ٥٢٥هـ) ، بكر به أبوه وبأخيه عبد الواحد ، فأسمعهما [6] ، سماعه في سنة ست ، وهو في الخامسة واسع الرواية ، وصفه الذهبي بـ " المسند ، الصدوق ، مسند الآفاق " ، وقال : وتفرد برواية (مسند أحمد) ، وفوائد أبي بكر الشافعي المشهورة بـ (الغيلانيات) ، وبـ (اليشكريات) [7] . وقال الصفدي : " ألحق الأبناء والأحفاد بالأجداد ، وهو آخر من روى ببغداد عن ابن غيلان وابن المذهب وحسن الأمير والتنوخي [8] .

٧. محمد بن سعيد بن أحمد بن سعيد الفقيه أبو عبد الله ابن أبي الطيب بن زرقون ، (٥٠٢هـ – ٥٨٦هـ) وصفه الصفدي بـ " المسند " وقال

---

[1] المصدر السابق ١٨٥/١٩ .
[2] الوافي بالوفيات ١٠٤/٢٠ .
[3] تاريخ الإسلام ١٣٨/١١ .
[4] قال السلفي ، وذلك من تقضب البغوي ، وبالوركي ، وغيرهما . انظر (سير أعلام النبلاء ٢٥٨/١٩) .
[5] سير أعلام النبلاء ٢٥٨/١٩ .
[6] المصدر السابق ٥٣٦/١٩ .
[7] والأجزاء اليشكريات وهي أربعة أجزاء من إملاء أبي العباس أحمد بن محمد اليشكري . الرسالة المستطرفة ص ٩٤ .
[8] الوافي بالوفيات ١٨٧/٢٧ .

عنه : أجاز له الخولاني ، وانفرد في الدنيا بالرواية عنه ، وكان مسند الأندلس في وقته [1] . وقال الذهبي : أجاز له عام اثنين وخمس مأة أبو عبدالله أحمد بن محمد الخولانيراوي (الموطأ) ، وفيها ولد ، وتفرد في وقته عنه ، وسمع بمراكش من : أبي عمران موسى بن أبي تليد ، فتفرد عنه أيضاً ، وارتحل الناس إليه لعلوه [2] .

٨. عبد المنعم بن عبد الوهاب بن سعد أبو الفرج الحراني الحنبلي البغدادي ، (م ٥٠٠هـ – ٥٩٦هـ) ، قال عنه الصفدي : " بكر به في سماع الحديث ، وعمره ست سنين من الشريف أبي طالب الحسين بن محمد بن علي الزينبي ، وعلي ابن أحمد بن محمد بن بيان ، ومحمد ابن سعيد بن نبهان ، وإسماعيل بن محمد ابن أحمد بن فله الإصبهاني ، والمبارك بن الحسين بن أحمد الغسال المقرئ ، ومحمد بن أحمد بن طاهر بن أحمد الخازن ، وأحمد بن علي بن بدران الحلواني ، وصاعد بن سيار بن محمد الإسحاقي الهروي ، وكان آخر من حدث عن هؤلاء على وجه الأرض ، وكان مسند العراق ألحق الصغار بالكبار [3] .

٩. أحمد بن نعمة بن حسن البقاعي الديرمقري الدمشقي الصالحي الحجار الخياط الرحلة المعمّر) شهاب الدّين أبو العبّاس المعروف بابن الشحنة (م ٦٢٠هـ – ت ٧٣٠هـ) ، ووصفه الذهبي بـ " مسند الدنيا " [4] ، وقال : انفرد سنين بعلو رواية جزء من حديث ابن عفان [5] . حدث بالجامع بضعاً وسبعين مرّة ، واشتهر اسمه ، وبعد صيته ، وألحق الصغّار بالكبار ، ورأى العزّ والإكرام ، ورحل إليه من البلاد ، وسمع منه أمم لا يحصون ، وتزاحموا عليه من سنة بضع عشرة وسبع مأة إلى أن توفّي وهو ابن مائة عام [6] .

---

[1] المصدر السابق ٨٦/٣ .
[2] سير أعلام النبلاء ١٤٧/٢١ .
[3] الوافي بالوفيات ١٤٨/١٩ .
[4] سير أعلام النبلاء ٣٩/٢١ .
[5] تاريخ الإسلام ٣١٣/٦ .
[6] الوافي بالوفيات ٨ج ١٢٤ .

وإنني وإن جمعت مئات المسندين ودرست تراجمهم حتى ارتشفت منها هذه الشروط ولكن اكتفيت بذكر هؤلاء المسندين تجنباً عن التطويل ، وليس المقصود سرد تراجمهم بتمامها بل المقصود ذكر ما يشير إلى الشروط المذكورة .

هل المسند من ألقاب الحفظ ؟

الشروط التي ذُكرت للتوصيف بالمسند تدل على كون المسند من ألقاب الرواية مثل الشمس الساطعة في رابعة النهار لأنها تتعلق في نهاية المطاف بتحمل الحديث في الصغر وأدائه في الشيخوخة ، ولكن هل هذا اللقب من ألقاب الحفظ أيضاً سأسلّط الضوء على ذلك في هذا المبحث بعون الله الموفق والمعين ، فأقول :

ذكر الحافظ السيوطي أن المحدث أرفع من المسند [1] .

وذكره الشيخ الغماري خلال مراتب الحفظ ، وجعله المرتبة الأولى من تلك المراتب حيث قال : مراتب الحفظ خمسة ، هي : مسند ، ثم محدث ، ثم مفيد ، ثم حافظ ، ثم أمير المؤمنين في الحديث [2] .

وقال محمد الأمين بن عبد الله الهَرَري : هو أدنى رتبة من الحافظ والمحدث [3] .

هذه الأقوال تدل على أمرين :

(١) المسند أدنى من المحدث . (٢) أنه من يشير إلى المرتبة الأولى من مراتب الحفظ .

وقد وصل هؤلاء العلماء الأكابر إلى هذه النتيجة ؛ لأنهم جعلوا المدار في التلقيب بـ " المسند " على رواية الحديث بالإسناد فقط ، وأنه ليست لذلك الراوي مزية أخرى ، فطبعاً يكون ذلك الراوي أدنى من المحدث ، وبما أن المحدث من ألقاب الحفظ فيكون المسند أيضاً منها ؛ لأن من شروط المحدث حفظ المتون كما أشار إليه الشيخ فتح الدين بن سيد الناس : وأما

---

[1] تدريب الراوي ١/ ٣٠ .

[2] مبادي علم الحديث :ص/ ٦٤ .

[3] الكوكب الوهَّاج والرَّوض البَهَّاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج) ، محمد الأمين بن عبد الله الأُرَمي الهرري الشافعي ، مراجعة برئاسة البرفسور هاشم محمد علي مهدي ، دار المنهاج – دار طوق النجاة ، ط الأولى ، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م ، ١/ ٤١ .

المحدث في عصرنا فهو : من اشتغل بالحديث روايةً ودرايةً ، وجمع رواةً ، واطلع على كثير من الرواة والروايات في عصره ، وتميز في ذلك حتى عرف فيه حفظه واشتهر فيه ضبطه [1] .

ولكن هذا كله إذا سلَّمنا أن مدار التوصيف بـ " المسند " على رواية الحديث بالإسناد ، والأمر ليس كذلك ولقد تم الرد على هذا من قبل ، فإذا عرفنا أن المدار ليس على رواية الحديث بالإسناد فلا يكون المسند أدنى من المحدث ، ولا يكون من ألقاب الحفظ من حيث إنه يشير إلى المرتبة الأولى ، وبل ليس هناك أي داعٍ للمقارنة بين المسند والمحدث يمكن أن يكون الراوي محدثاً ومسنداً ، بل وأعلى من المحدث ؛ لأن ليس من شروطه حفظ المتون والأحاديث ، وشروطه تتعلق بتحمل الحديث في الصغر وروايته بالكثرة في الكبر مع علو الإسناد وطول العمر .

فعلم من ذلك أن المسند ليس من ألقاب الحفظ من حيث أنه يدل على المرتبة الأولى من مراتب الحفظ وأنه أدنى من المحدث ؛ لأن شروطهما تختلف ، وأنهما ليسا من نوع واحد حتى تكون بينهما المقارنة .

أنواع المسند :

ومن الجدير بالذكر في هذا المبحث أنه ليس من اللازم التساوي بين المُلَقَّبين بـ " المسند " فمنهم من عمِّر وتفرد بجزء من أجزاء الحديث أو بشيخ من شيوخه ، ومنهم من تفرد بعامة شيوخه ، ومنهم من ينحصر تَفَرُّده في بلد معين ، ومنهم من تفرد بشيوخه في العالم لا يشاركه فيهم من عداه ، مات أقرانه وعلا سنده ، اشتهر اسمه وبعد صيته ، ألحق الصغار بالكبار ، والأبناء بالآباء ، والأحفاد بالأجداد ، قصده طلبة الحديث من عامة البلاد حتى لقب بـ " مسند الدنيا " ، و " مسند العالم " ، و " مسند العصر " ، و " مسند الآفاق " ، و " مسند الوقت أو مسند وقته " وسأذكر مثالاً لكل هذه الكلمات لفاً مرتباً .

قال الشيخ الصفدي في ترجمة الحسن بن علي بن محمد أبي محمد الجوهري الشيرازي البغدادي (٤٤٤هـ) : " مسند العراق بل مسندالدنيا في عصره " [2] .

١- تدريب الراوي ١/ ٣٠ .

[2] الوافي بالوفيات ١٢/ ٧٧ .

وسياق كلامه يدل على أن الملقب بـ " المسند " المنسوب إلى بلد من البلاد أدنى من الملقب بـ " مسند الدنيا " فيكون معنى كلامه : هو مسند العراق لا بل أعلى رتبة من ذلك إنه مسند الدنيا .

علي بن أحمد بن عبد الواحد المقدسي الصالحي الحنبلي (م ٥٩٥هـ – ت ٦٩٠هـ) ، وصفه الصفدي : " مسند العالم ، وقال : " وألحق الأحفاد بالأجداد ، وهو آخر من كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم في الدنيا ثمانية رجال ثقات [١] .

أبو الوقت عبد الأول بن عيسى بن شعيب السجزي (م ٤٥٨هـ – ٥١٢هـ) ، لقّبه الذهبي بـ " مسند الآفاق " سمع في سنة خمس وستين وأربع مأة (أي في السابعة) . وتكاثر عليه الطلبة ، واشتهر حديثه ، وبعد صيته ، وانتهى إليه علو الإسناد ، عاش مأة وثلاث سنين [٢] .

محمد بن عبد الله بن أحمد أبو بكر الأصبهاني المشهور : بابن ريذة (٣٤٦هـ – ت ٤٤٠هـ) عمر دهراً ، وتفرد في الدنيا ، وله أربع وتسعون سنة لقّب بـ " مسند العصر " [٣] .

خلف أحمد بن علي بن عبد الله الشيرازي أبو بكر الشيرازي ثم النيسابوري ، الأديب مسند وقته (م ٣٩٨هـ – ت٤٨٧هـ) [٤] .

فهؤلاء الشيوخ كلهم قد تفردوا في الدنيا لا يشاركهم في الرواية عن شيوخهم بعد أن مات أقرانهم ومشاركوهم في شيوخهم ؛ لأنهم قد طال عمرهم ، فمنهم من تجاوز المأة ، ومنهم من تجاوز التسعين ، وفي الأسطر الآتية سأذكر بعض الأمثلة للمسند الخاص ببلد ما :

أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن عتاب بن محسن القرطبي (م ٤٣٣هـ – ت ٥٣١هـ) وصفه الذهبي في (العبر ج ٢ ، ص ٤١٣) بـ " مسند الأندلس " . وقال عنه خلف بن عبد الملك بن بشكوال (المتوفى : ٥٧٨هـ) : هو آخر الشيوخ الأجلة الأكابر بالأندلس في علو الإسناد ، وسعة الرواية ، وكانت الرحلة في وقته إليه ، ومدار أصحاب الحديث

---

[١] المصدر السابق ١٢١/٢٠ .
[٢] سير أعلام النبلاء ٢٠/ ٣٠٣ .
[٣] سير أعلام النبلاء١٧/٥٩٥ .
[٤] المصدر السابق ٤٧٩/١٨ .

عليه لثقته وجلالته وعلو إسناده وصحة كتبه ، وطال عمره ، وسمع منه الآباء والأبناء ، والكبار والصغار [1] .

تميم بن أبي سعيد بن أبي العباس الجرجاني أبو القاسم الجرجاني (م بعد ٥٤٠هـ – ت ٥٣٠/٥٣١هـ) وصفه الذهبي بـ " مسند هراة " ، وقال : انتهى إليه بهراة علو الإسناد ، كان قد اعتنى به خاله الحافظ عبد الله بن يوسف [2] .

أبو الحسن بن السّمْسار علي بن موسى الدمشقي (ت ٤٣٣هـ) ، وصفه الذهبي بـ " مسندالشام في وقته [3] . وقال عنه في (العبر ج ٢ ، ص ٢٦٨) : انتهى إليه علوّ الإسناد بالشام .

هناك جمع غفير لقب بالمسند المنسوب إلى بلد ما ولكن اكتفي بذكر هؤلاء الثلاثة لتوضيح المقال .

الاستنتاجات :

١. تعريف المسند المذكور في كتب المصطلح التي صنفت بعد القرن الثامن هو : " من يروي الحديث بالإسناد سواء عنده علم بالحديث أو لم يكن عالماً به " . ولكن عند ما صنف الحافظ زين الدين العراقي منظومته وذكر فيها بيتاً

نظمتها تبصرة للمبتدي تذكرة للمنتهي والمسند

٢. فكل من شرح منظومته اضطر إلى ذكر تعريف المسند ، فذكروا فيه ما ذكروا .

٣. لو كان المدار في التلقيب بـ " المسند " على الاعتناء بالمسندات لَلُقِّب به أبو محمد عبدالله بن مظاهر الأصبهاني (ت ٣٠٤هـ) ؛ لأنه حفظ الأحاديث المسندة بخذافيرها ، ولكنه مع ذلك لم يوصف به لأنه مات شاباً ، ولم يعمر طويلاً .

٤. قول الحافظ العراقي يرد على قولهم في تعريف المسند : سواءً عنده علم

---

[1] الصلة في تاريخ أئمة الأندلس لأبي القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال (المتوفى : ٥٧٨هـ) ، تحقيق السيد عزت العطار الحسيني ، مكتبة الخانجي ، ط : الثانية (١٣٧٤هـ – ١٩٥٥م) ٣٣٢/٣ .

[2] سير أعلام النبلاء ٢١/٢٠ .

[3] تاريخ الإسلام ٢٠٩/٢٩ .

بالحديث أو لم يكن عالماً به " ؛ لأنه جعل هذا الكتاب تذكرة للمسند يتذكر به ما غفل عنه مثل المنتهي ، وهذا ما يمكن إلا إذا كان عالماً بما في الكتاب من أنواع علوم الحديث .

٥. تعريف الشيخ الصفدي للمسند : من عمر وكثر الرواية . ناقص لأن الراوي إذا لم يسمع في الصغر ولم يجز له أحد بالرواية تكون مسموعاته نازلة بدل أن يصبح مسنداً .

٦. تعريف المسند عند الباحث : من سمع حضوراً أو أُجِيز له بالرواية في صغره ثم عُمِّر وتفرد فعلا سنده وكثرت روايته .

٧. شروط التلقيب بالمسند ثلاثة :

أ. إدراك الشيوخ والسماع منه في الصغر حضوراً في مجلسه ، أو أن يجيز له الشيخ بالرواية عنه حتى يدرك الأسانيد العالية .

ب. وأن يتفرد بالرواية عن شيوخه بأن يُعَمَّر عمراً طويلاً إلى أن مات أقرانه ومشاركوه في الشيوخ ، وأن ينتهى إليه علو الإسناد ، وأن تقصده الرحلة من مختلف البلاد لعلو الإسناد .

ت. أن يكثر الرواية بعد أن علا سنده وارتفع شأنه حتى يلحق الصغار بالكبار ، والأَبْنَاء بالآبَاء ، والأَحفَادَ بالأَجدَادِ .

٨. ليس من اللازم التساوي بين المُلَقَّبين بـ " المسند " فمنهم من تفرد بجزء من أجزاء الحديث أو بشيخ من شيوخه ، ومنهم من تفرد بعامة شيوخه ، ومنهم من ينحصر تَفَرُّده في بلد معين فيُلَقَّب بـ " مسند العراق " ، و " مسند الهراة " مثلاً ، وهناك من هو أعلى رتبة من الجميع ؛ فقد تفرد بشيوخه في العالم لا يشاركه فيهم من عداه ، ولا يوازيه في قدم السماع عمن سواه ، مات أقرانه وعلا سنده ، اشتهر اسمه وبعد صيته ، ألحق الصغار بالكبار حتى لقب بـ " مسند الدنيا " ، و " مسند العالم " ، و " مسند العصر " ، و " مسند الآفاق " ، و " مسند الوقت أو مسند وقته " .

المراجع والمصادر:

١- ألفية العراقي المسماة بـ : التبصرة والتذكرة في علوم الحديث ، أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن العراقي (ت ٨٠٦هـ) تقديم عبد الكريم بن عبد الله الخضير ، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع ، الرياض – المملكة العربية السعودية ، ط : الثانية ، ١٤٢٨هـ .

٢- الأنساب أبو سعد عبد الكريم بن محمد السمعاني (ت٥٦٢هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي وغيره ، مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد ، ط : الأولى (١٣٨٢هـ – ١٩٦٢م) ٢٦٥/١٢ .

٣- أعيان العصر وأعوان النصر ، للشيخ صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (ت ٧٦٤هـ) ، المحقق الدكتور علي أبو زيد ، ورفقاءه ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، ط : الأولى (١٤١٨هـ م – ١٩٩٧م) .

٤- تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـ) ، المحقق : الدكتور بشار عوّاد معروف ، دار الغرب الإسلامي .

٥- تاريخ بغداد ، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ) ، المحقق : الدكتور بشار عواد معروف ، دار الغرب الإسلامي – بيروت ، ط : الأولى (١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م) .

٦- تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي ، عبد الرحمن بن أبو بكر ، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) ، حققه : أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي ، دار طيبة .

٧- تذكرة الحفاظ للذهبي ، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ، ط : الأولى (١٤١٩هـ – ١٩٩٨م) .

٨- تهذيب التهذيب ، لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) ، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، ط : الأولى (١٣٢٦هـ) .

٩- الحديث في علوم القرآن والحديث ، حسن محمد أيوب (ت ١٤٢٩هـ) ، دار السلام – الإسكندرية ، ط : الثانية (١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م) .

١٠- الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة للكتاني (المتوفى ١٣٤٥هـ) ، المحقق : محمد المنتصر بن محمد الزمزمي ، دار البشائر

الإسلامية ، ط : السادسة (١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م) .
١١- سير أعلام النبلاء لشمس الدين الذهبي ، المحقق : مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة ، ط : الثالثة (١٤٠٥هـ – ١٩٨٥ م) .
١٢- شرح (التبصرة والتذكرة ألفية العراقي) ، زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي ، المحقق : عبد اللطيف الهميم – ماهر ياسين فحل ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط : الأولى (١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م) .
١٣- الصلة في تاريخ أئمة الأندلس لأبي القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال (المتوفى : ٥٧٨هـ) ، تحقيق السيد عزت العطار الحسيني ، مكتبة الخانجي ، ط : الثانية (١٣٧٤هـ – ١٩٥٥م) .
١٤- العبر في خبر من غبر للذهبي ، المحقق : أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية – بيروت .
١٥- لسان العرب ، محمد بن مكرم بن على ، أبو الفضل ، المعروف بابن منظور (المتوفى : ٧١١هـ) دار صادر ، بيروت ، ط : (الثالثة – ١٤١٤هـ) .
١٦- مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ،أبو الحسن عبيد الله بن محمد عبد السلام (ت ١٤١٤هـ) ،إدارة البحوث العلمية والدعوة بنارس الهند ،ط : الثالثة (١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م) .
١٧- مفتاح السعيدية في شرح الألفية الحديثية ، شمس الدين محمد بن عمار المعروف بابن عمار (ت ٨٤٤هـ) ، تحقيق : د . شادي بن محمد ، مركز النعمان للبحوث ، صنعاء اليمن ، ط : الأولى (١٤٣٢هـ – ٢٠١١م) .
١٨- النور السافر عن أخبار القرن العاشر ، محي الدين عبد القادر بن شيخ بن عبد الله العَيْدَرُوس (ت ١٠٣٨هـ) ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط : الأولى (١٤٠٥) .
١٩- الوافي بالوفيات للصفدي ، المحقق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى ، دار إحياء التراث – بيروت .
٢٠- الوسيط في علوم ومصطلح الحديث ، محمد بن محمد (ت ١٤٠٣هـ) ، دار الفكر العربي .

الوقف في الهند : نظامه ووضعه في عهد السلاطين

(الحلقة الأولى)

د . محمد شاهجهان الندوي *

مقدمة :

كانت الصلات (Relationship) بين الهند والعرب قائمة قبل الإسلام عن طريق تبادل السلع والبضائع التجارية الذي يقوم به التجار ، وكان يصل من الهند إلى المتاجر العربية من " أيلة " و " عدن " وغيرهما من المدن : العود الهندي ، والقرنفل (Carnation) ، والنارجيل ، والعاج ، وما إلى ذلك ، ويصل منها إلى السواحل الهندية مثل " كراتشي " و " كرنغنور " و " كورمندال " : القماش ، والأحجار الثمينة ، والتمر ، والذهب وغيره من الأشياء . (حوراني ، العرب والملاحة في المحيط الهندي في العصور القديمة وأوائل القرون الوسطى ، ص ٣٤ ، القاهرة ، ١٩٥٨م) . وكانت المناطق الساحلية الغربية المعروفة بـ " مليبار " موانئ محفوظة ومستقلة للسفن التجارية للتجار العرب ، ولما تحولت مكة مركزاً تجارياً كبيراً ، وارتحلت قوافل قريش في الشتاء إلى اليمن ، وفي الصيف إلى الشام ، دخلت المنتجات الهندية في التجارة القرشية كذلك . وكان العرب يعجبهم السيوف المهندة كثيراً ، ولذا أكثروا من ذكرها في شعرهم .

وكان النبي – صلى الله تعالى عليه وسلم – والصحابة – رضوان الله تعالى عليهم أجمعين – يعرفون كثيراً عن الهند ، وقد شبه النبي – صلى الله عليه وسلم – لون سيدنا موسى – عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام – وقده وقامته وطوله بالزط (جيل من الهند ، معرب " جات ") فعن ابْنِ عُمَرَ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا – ، قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : « رَأَيْتُ عِيسَى ومُوسَى وَإِبْرَاهِيمَ ، فَأَمَّا عِيسَى فَأَحْمَرُ جَعْدٌ عَرِيضُ الصَّدْرِ ، وَأَمَّا مُوسَى ، فَآدَمُ جَسِيمٌ سَبْطٌ كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ الزُّطِّ » . (أخرجه البخاري رقم

* عميد كلية الحديث ، الجامعة الإسلامية ، شانتابرم ، بتيكاد ، مالابرم ، كيرالا ، الهند .

٣٤٣٨) . وبشر النبي – صلى الله عليه وسلم – الطائفة التي تغزو الهند ، فعن ثَوْبَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ، عَنِ النَّبِيِّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قَالَ : " عِصَابَتَانِ مِنْ أُمَّتِي أَحْرَزَهُمُ اللهُ مِنَ النَّارِ : عِصَابَةٌ تَغْزُو الْهِنْدَ ، وَعِصَابَةٌ تَكُونُ مَعَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ " . (أخرجه النسائي رقم ٣١٧٥ ، وأحمد رقم ٢٢٣٩٦ ، وإسناده حسن) . وعَنْ عَمْرَةَ ، أَنَّ عَائِشَةَ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا – دَبَّرَتْ أَمَةً لَهَا ، فَاشْتَكَتْ عَائِشَةُ ، فَسَأَلَ بَنُو أَخِيهَا طَبِيبًا مِنَ الزُّطِّ ، فَقَالَ : إِنَّكُمْ تُخْبِرُونِي عَنِ امْرَأَةٍ مَسْحُورَةٍ ، سَحَرَتْهَا أَمَةٌ لَهَا ، فَأُخْبِرَتْ عَائِشَةُ ، قَالَتْ : سَحَرْتِينِي ؟ فَقَالَتْ : نَعَمْ ، فَقَالَتْ : وَلِمَ ؟ لا تَتْجَيْنَ أَبَدًا ، ثُمَّ قَالَتْ : بِيعُوهَا مِنْ شَرِّ الْعَرَبِ مَلَكَةً " . (أخرجه البخاري في الأدب المفرد رقم ١٦٢ ، وإسناده صحيح) .

وكان الهنود يعرفون العرب كذلك ، فلما أشرقت شمس الإسلام على أرض الحجاز ، وتنورت ربوعها بأشعتها ، لم تكن الدعوة الإسلامية خافية عليهم ، فبتأثير هذه الدعوة سافر الرتن الهندي أبو الرضا رتن بن نصر بن كربال إلى مكة ، وأسلم ، ثم رجع إلى وطنه . (ابن حجر ، الإصابة ٢/ ٤٣٤ – ٤٤٤ ، ط : ١ ، بيروت ، العلمية ، ١٤١٥هـ) . ولما شاهد الملك " تشيرمان برمال " (Cheraman Perumal) معجزة شق القمر ، أرسل رسلاً إلى أماكن مختلفة لتحقيق الأمر ، فأخبر بأن رجلاً هاشمياً ظهر بمكّة ، وادّعى أنه رسول اللّه إلى كافة العالم وأن أهل مكّة سألوه معجزةً كمعجزات سائر الأنبياء ، وأنهم اقترحوا عليه أن يأمر القمر أن ينشقّ في السماء ثم يعود إلى ما كان عليه ، ففعل لهم ذلك بقدرة اللّه تعالى، فهو ذاك . فحن إلى التشرف بزيارة هذا النبي العبقري ، وعزم على الرحيل إلى الحجاز ، وفوض أمر الدولة وسرير الملك إلى ولي عهده ، وقدم إلى مكة مع جماعة من حاشيته ، وتشرف برؤية محيا النبي – صلى الله عليه وسلم – واعتناق الدين الإسلامي على يديه الكريمتين ، ومكث بها عدة أيام ، ثم قفل إلى وطنه ، ومعه جماعة من المسلمين ، ومنهم حبيب بن مالك ، وعبد الرحمن بن مالك ، ومحمد بن مالك وآخرون ، فلما بلغ مدينة " ظفار " توفي إلى رحمة الله تعالى ، ودفن بها . وكتب قبل موته إلى ولي عهده حاكم " مليبار " أن يتلقى هؤلاء المسلمين بالحفاوة والترحيب والإكرام والتبجيل ،

وأن يقدم إليهم جميع المساعدات والتسهيلات اللازمة ، والسماح لهم بنشر الإسلام في بلده ، وبناء المساجد في أرضه . (البيجابوري ، تاريخ فرشته ٢/ ٤٩١) . ولما أسلم باذان عامل كسرى على اليمن عام ٧ هـ/ ٦٢٩م ، أسلمت جنوده ، وفيها عدد كبير من الزط والميد . (الإصابة ١/ ٤٦٤ ، الطبقات الكبرى ١/ ١٩٩ ، ط : ١ ، بيروت ، العلمية ، ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م) .

فدخل الإسلام الهند أول ما دخل عن طريق هؤلاء التجار ، ثم انتشر بفضل الدعاة الصالحين وأرباب السلوك والتصوف ، ومن كبار أولياء الله ممن تأثر بخلقهم وعاداتهم وسلوكهم الجميل عامة الناس : الشيخ إسماعيل اللاهوري الذي ورد إلى " لاهور " عام ٣٨٢هـ / ١٠٠٥م ، المحكومة من قبل الحاكم الهندوسي ، وأسلم على يديه كثير من الناس ، وقام بالدعوة الإسلامية الشيخ صفي الدين الكارزوني (ت : ٣٨٣هـ/ ١٠٠٧م) بمنطقة " أتش " . وللشيخ علي بن عثمان دور كبير في نشر الإسلام ، الذي ورد إلى " لاهور " في أواسط القرن الحادي عشر الميلادي ، كما قام بنشر الإسلام السلطان السخي السرور في أواسط القرن الثاني عشر ، في مناطق " بنجاب " وأسلم عدد كبير من الناس معجبين بسلوك الخواجه معين الدين الجشتي (٥٣٧هـ – ٦٣٣هـ) الذي شرف مدينة " أجمير " سنة ٥٩٠هـ / ١١٩٢م . (نزهة الخواطر ١/ ٩١ ، ط : ١ ، بيروت ، دار ابن حزم ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م) . ولعب دوراً في هذا المجال كذلك ، الشيخ قطب الدين بختيار الكعكي (٥٨٣هـ – ٦٣٣هـ) . (المرجع السابق ١/ ١١٤) . والشيخ نظام الدين الدهلوي (٦٣٦هـ – ٧٢٥هـ) . (المصدر السابق ٢/ ١٩٣) . والشيخ نصير الدين محمود بن يحيى الأودي الدهلوي (ت : ٧٥٧هـ) . (المرجع نفسه ٢/ ٢٠٩) . والشيخ أحمد بن شهاب صدر الدين الدهلوي (ت : ٧٥٩هـ) . (المصدر نفسه ٢/ ١٤٣) . والشيخ زين الدين بن علي المعبري المليباري (٨٧٣هـ – ٩٢٨هـ) . (المرجع السابق ٤/ ٣٤١) .

بالجملة ، فإن المناطق الغربية الساحلية كانت في الطليعة المرحبة بالمسلمين ، وسلك ملوكها معهم سلوكاً حسناً ، ووفروا لهم التسهيلات اللازمة . وتعرفت " السند " من المناطق الشمالية على الإسلام أول ما تعرفت .

قيام دولة السلاطين :

تأسست دولة السلاطين سنة ٦٠٢هـ/ ١٢٠٦م على أيديهم ، فكان قطب الدين أيبك مؤسس هذه الدولة (١٢٠٦م – ١٢١٠م) في " دلهي " كدولة مستقلة ، واستمرت إلى عام ٩٣٢هـ/ ١٥٢٦م ، نحو ثلاثة قرون وربع قرن . وحكم في هذه المدة الطويلة أربعة وعشرون ملكاً من الأسر الخمس المختلفة ، فحكمت أسرة المماليك من ١٢٠٦م إلى ١٢٩٠م ، وكان منها عشرة ملوك ، وحكمت أسرة الخلجي من ١٢٩٠م إلى ١٣٢١م ، وكان منها أربعة ملوك ، وحكمت أسرة تغلق من ١٣٢١م إلى ١٤١٣م ، وكان منها سبعة ملوك ، وحكمت أسرة السادات من ١٤١٣م إلى ١٤٥١م ، وكان منها أربعة ملوك ، وحكمت أسرة " لودي " من ١٤٥١م إلى ١٥٢٦م ، وكان منها ثلاثة ملوك . وبما أن الحاكم كان يسمى " سلطاناً " ، ولذا سميت هذه المدة بعهد " السلطنة " .

مآثر (Achievements) سلاطين " دلهي " :

من حسنات ومآثر سلاطين " دلهي " أنهم وحدوا الهند ، وقاموا بترقيتها ، ولعبوا دوراً كبيراً في إسعاد الناس وتوفير التسهيلات لهم ، وأقاموا المساجد والمدارس والمشافي ، وقاموا بنشر العلم وخدمة العلماء والفقهاء والمتصوفين . وكان مؤسس هذه السلطنة قطب الدين الأيبك (١٢٠٦م – ١٢١٠م) عادلاً باسلاً باذلاً حتى لقب " لكه بخش " (مانح مأة ألف) ، وكان حسن السيرة في الرعية ، وهو الذي بنى الجامع الكبير باسم " قوة الإسلام " ببلدة " دهلي " في سنة اثنتين وتسعين وخمس مأة من الهجرة .

ولحكام أسرة تغلق فضل كبير في إقامة المدارس والمؤسسات العلمية ، والمستشفيات والمساجد والشوارع والزوايا والتكايا والمقابر والحمامات ، وبناء الجسور والقناطر، وحفر الآبار والأنهار ، وكفالة العلماء والمشايخ ، ومساعدة الفقراء والمساكين .

وكان السلطان شمس الدين ألتمش رجلاً متديناً فاضلاً عادلاً كريماً رحيماً ، يكتب عنه ابن بطوطة : " ومن مآثره أنه اشتد في رد المظالم وإنصاف المظلومين ، وأمر أن يلبس كل مظلوم ثوباً مصبوغاً ... فكان متى قعد للناس أو ركب ، فرأى أحداً عليه ثوب مصبوغ ، نظر في

قضيته وأنصفه ممن ظلمه ... وجعل على باب قصره سلسلتين من الحديد فيهما جرس كبير ، فكان المظلوم يأتي ليلاً فيحرّك الجرس فيسمعه السلطان وينظر في أمره للحين وينصفه " . (رحلة ابن بطوطة ، ٣/ ١٢١ ، الرباط ، أكاديمية المملكة المغربية ، ١٤١٧هـ) . وكان السلطان ناصر الدين محمود بن ألتمش (ت : ١٢٦٦م) ملكاً صالحاً ، ينسخ نسخاً من الكتاب العزيز ، ويبيعها فيقتات بثمنها. (المرجع السابق ٣/ ١٢٣ – ١٢٤) . فلا شك أن ألتمش وابنه ناصر الدين مثلا حياة إسلامية بقولهما وفعلهما .

وكان السلطان غياث الدين بلبن (ت : ١٢٨٦م) من خيار السلاطين عادلاً حليماً فاضلاً . بذل جهده في تعمير البلاد وسد الثغور ورفع المظالم والإحسان إلى كافة الخلق ، وكان في ذلك على قدم السلطان شمس الدين الإيلتمش ، وكان محباً لأهل العلم محسناً إليهم ، يتردد في كل أسبوع بعد صلاة الجمعة إلى بيوت الشيخ برهان الدين البلخي ، والشيخ سراج الدين السجزي ، والشيخ نجم الدين الدمشقي فيحظى بصحبتهم ، ويتردد إلى مقابر الأولياء فيزورها ، ويتردد إلى مجالس التذكير ويقعد بها كآحاد من الناس ، ويداوم على الصلاة بالجماعة والصيام فرضاً كان أو نافلة ، ويداوم على صلاة الإشراق والضحى والتهجد ، وكان لا يداهن في العدل والقضاء ولا يسامح أحداً ولو كان من ذوي قرابته . (ثروت ، التاريخ الوجيز للملة الإسلامية بالأردية ٢/ ١٤٥ – ١٤٦ ، السيد عبد الحي ، نزهة الخواطر ١/ ١١٣) . حتى قتل حاكمه على " بدايون " الذي قتل خادماً . ومن مكارمه أنه بنى داراً وسمّاها دار الآمن . فمن دخلها من أهل الديون قضي دينه ، ومن دخلها خائفاً أمن ، ومن دخلها وقد قتل أحداً أرضى عنه أولياء المقتول ، ومن دخلها من ذوي الجنايات أرضى أيضاً من يطلبه . (رحلة ابن بطوطة ، ٣/ ١٢٤) . وبسبب عدله عم الأمن والسلام في البلاد في عهده . وبالجملة فإن بلبن كان من الملوك العظام ، ولم يكن أقل درجة من ملك مصر السلطان الظاهر بيبرس العلائي (ت : ٦٧٦هـ) ، وملك المغرب (مراكش) يعقوب بن عبد الحق المنصور المريني (ت : ٦٨٥هـ) في كفاءته وصلاحيته ، وإحسانه إلى الرعية ، وعدله وإنصافه .

والسلطان غياث الدّين تغلق (ت : ١٣٢٥م) كان عادلاً فاضلاً ، كريماً حليماً ، متورعاً ، حسن الأخلاق ، راجح العقل ، متين الدين ، كان يلازم الصلوات الخمس بالجماعة ، ويجلس للناس في الديوان العام من الصباح إلى المساء ، ويتفقد بنفسه أحوال الناس ، ويشتغل بما يهمه من الأمور بنفسه ، ويكرم العلماء والمشايخ ، ويعظمهم تعظيماً بالغاً . (الإعلام بمن في الهند من الأعلام ٢/ ١٨٤) . وكان محسناً إلى الرعية ومتوخياً سعادتهم ورخاءهم ، حتى أصبح قطاع الطريق في عهده حراساً ، فباعوا قسيهم وكسروا سيوفهم واتخذوها آلات وأدوات الزراعة . (ثروت ، التاريخ الوجيز ٢/ ١٥١) .

وكان أبو المجاهد محمد شاه بن السلطان غياث الدين تغلق شاه ، فاضلاً ذكياً ، كبير القدر عظيم الجاه جواداً ، محسناً إلى الرعية ، خطاطاً ، مشجعاً على العلم والأدب ، ذا اهتمام بنشر الكتاب والسنة ، من أشد الناس – مع اشتداده على أهل الجنايات – تواضعاً وأكثرهم إظهاراً للعدل والحق ، وشعائر الدين عنده محفوظة ، وله اشتداد " في أمر الصلاة والعقوبة على تركها " ، كما كان شديداً في إقامة الشرع وإجراء العقوبات . يكتب صاحب " مسالك الأبصار " : " ولا يتجاسر أحد أن يظهر في بلاده بجرم ، وأشد ما ينكر على الخمر ، ويقيم الحد فيه ، ويبالغ في تأديب من يتعاطاه من المقربين " . (شهاب الدين العمري ، مسالك الأبصار ، ص ٤٠ ، دهلي ، ندوة المصنفين) . وأمر برفع المكوس عن بلاده وأن لا يؤخذ من الناس إلا الزكاة والعشر خاصة ، وصار يجلس بنفسه للنظر في المظالم في كل يوم اثنين وخميس ، وأمر أن لا يمنع أحد ممن أراد الشكوى من الوقوف بين يديه . وكان مع تواضعه وإنصافه ورفقه بالمساكين وكرمه الخارق للعادة ، ذا شخصية غريبة ، فكان كثير التجاسر على إراقة الدماء لا يخلو بابه عن مقتول إلا في النادر ، يكتب ابن بطوطة : " وكنت كثيراً ما أرى الناس يقتلون على بابه ويطرحون هنالك ، ولقد جئت يوماً فنفر بي الفرس ، ونظرت إلى قطعة بيضاء في الأرض فقلت ما هذه ؟ فقال بعض أصحابي : هي صدر رجل قطع ثلاث قطع ! وكان يعاقب على الصغيرة والكبيرة ولا يحترم أحداً من أهل العلم والصلاح والشرف ... (رحلة ابن

بطوطة ٣/ ١٨٤) . وحاول سكندر اللودي (١٤٨٩م – ١٥١٧م) القضاء على الفقر والإفلاس ، وإسعاد الشعب وتحقيق التنمية لهم . وغير قراره حين أنكر عليه العالم عبد الله بسبب إرادته قتل الأبرياء . (ثروت ، التاريخ الوجيز ٢/ ١٩٢ – ١٩٣) .

سلاطين " دلهي " واتجاهاتهم الدينية :

كان سلاطين " دلهي " مسلمين ، وكانوا يحترمون الشريعة والقوانين الشرعية ، وكانوا يحترمون العلماء والمشايخ والقضاة والمفتين ، وقد يستشيرونهم في أمور سياسية واجتماعية واقتصادية وإدارية ، وكانوا قد يعقدون لهم مجالس لمعرفة رأي جماعي منهم ، وكان يسمى ذلك المجلس " محضراً " . (خليق أحمد نظامي، (سلاطين دہلی کے مذہبی رجحانات) (الاتجاهات الدينية لسلاطين دهلي) ، ص ٥٤ ، دهلي ، ندوة المصنفين ، ١٩٨١م) ، وينفقون على الفقراء والمساكين ، وكان القضاة في عهدهم مستقلين إلى حد كبير ، يحكمون في ضوء الشريعة الإسلامية ، لكنهم لم يكونوا ملتزمين بالشريعة الإسلامية حق الالتزام ، ولم يكونوا مطبقين لها حق التطبيق ، ولم يكونوا ممثلين للإسلام حق التمثيل ، فلم يستضيئوا بنور الدين في الأمور السياسية حق الاستضاءة ، ومهما كانت درجة الدين في حياتهم الشخصية ، فلم يبتعدوا عن سيئات الملكية التي شنع الله تعالى عليها حيث قال حاكياً عن بلقيس ملكة سبأ (إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ) . [النمل : ٣٤] ، والتي هي عبارة عن حمل الكافة على مقتضى الغرض والشهوة ، ودفعهم إلى الاستسلام والخنوع للسيادة الشخصية والاستعلاء الذاتي ، وتسخيرهم لمصالحهم ، وتكميم أفواههم ، وقهرهم وتذليلهم ، ومعاملتهم بالقوة والعنف ، دون منطق الدليل والبرهان . ولم يحترموا حق الاحترام مبدأ " الشورى " في إبرام أمر من أمور المسلمين الهامة ، مع أن الله تعالى قال : (وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ) [الشورى : ٣٨] .

فجاءت هذه الآية في معرض بيان صفات المؤمنين الكاملين من أهل الجنة بأنهم يأخذون بنظام الشورى ، ولا ينفردون برأي في كل أمر من

القضايا العامة الهامة كتولية الخلافة ، وشؤون تدبير الدولة والتخطيط لمصالحها ، ومن هنا سلك الصحابة – رضي الله عنهم – طريق النبي – صلى الله عليه وسلم – فتشاوروا فيما بينهم في عظائم الأمور وجلائلها . وقال سبحانه : (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ) [آل عمران : ١٥٩] .

فنصت الآية على جعل الأمر بين المسلمين شورى حيث أمر الله – عز وجل – نبيه – صلى الله عليه وسلم – بمشاورة أصحابه ، ليقتدوا به في ذلك عند النوازل التي تنزل بهم ، فيتشاوروا فيما بينهم ، كما كانوا يرونه في حياته – صلى الله عليه وسلم – يفعله . فقد كان النبي – صلى الله عليه وسلم – أكثر الناس مشاورة لأصحابه .

وعلى كل حال ، فإنهم لم يلتزموا بمنهج معين لاتباع الشريعة في الشؤون السياسية والإدارية ، فتراهم يتبعون الشريعة في أمور ، ويخالفون أحكامها في أمور أخرى . غير أنهم كانوا يركزون على قمع الظلم والجور ويؤكدون على قيام العدل والإنصاف إلى حد كبير . فقد أقام السلطان قطب الدين أيبك (١٢٠٦م – ١٢١٠م) نظاماً جيداً للعدل والإنصاف ، وكان يشتد على الظلمة والجائرين ، حتى لا يتجاسرجندي على أن يقبض على طير من عمران ، أو يمكث بدار شخص بقوة وقهر . (فخر مدبر ، تاريخ فخر الدين مبارك شاه ، ص ٣٣ ، لندن ، ١٩٢٧م) . وكان ألتمش (١٢١٠م – ١٢٣٥م) والسلطان غياث الدين بلبن (١٢٦٦م – ١٢٨٧م) لا يراعيان قريباً و لا نسيباً وقت إقامة العقوبات . (ضياء الدين برني ، تاريخ فيروز شاهي ، ص ٤٠ ، كولكتا ، ١٨٦٢م) . وخاطب السلطان غياث الدين بلبن أبناءه وضباطه : أن قربكم مني لا يمنعني من إجراء العقوبة على جان ومجرم . (برني ، تاريخ فيروز شاهي ، ص ٤٤) . وقضى على عادة إدمان الخمر والقمار الفاشية في طبقة الأمراء . وكان يعترف بسيادة الشريعة الإسلامية من حيث المجموع . وتأثر بتدينه الأمراء والحكام والعمال والضباط فاتبعوه في جوده وعدله ، وخاصة اشتهر منهم علاء الدين كشلي خان ، وعماد الملك ، وفخر الدين رئيس شرطة " دهلي " بعدلهم

وإنصافهم وإحسان سيرتهم في الرعية ، وتنافسهم في الخير والأعمال الصالحة . (ثروت ، التاريخ الوجيز للملة الإسلامية ١/ ١٤٥ – ١٤٧) . وكان السلطان جلال الدين الخلجي (١٢٩٠م – ١٢٩٥م) لا يرى القتل إلا بما ورد به الشرع من قتل القاتل العمد العدوان ، ورجم الزاني المحصن ، والمرتد . (برني ، تاريخ فيروز شاهي ، ص ١٩٣) . وكان ملكاً صالحاً ، نفورا بفطرته من القتل وسفك الدماء ، ومن مقولته الشهيرة : " إن كانت الملوكية تعني القتل وشن الغارة والنهب والسلب ، وإراقة دماء المخالفين وسجنهم وأسرهم ، فلست ذاك الملك ، أنا لا أستطيع أن أعمل عملاً واحداً خلاف الشريعة التي جاء بها النبي الخاتم – صلى الله عليه وسلم – . ولذا نرى الرخاء قد عم البلاد في عهده ، ونال كل مظلوم الإنصاف في عهده . (ثروت ، التاريخ الوجيز ص ٢/ ١٤٨) . وكان السلطان علاء الدين الخلجي (١٢٩٩م – ١٣١٩م) يقول : " أعامل مع شراب الخمر والزناة والسراق بما قال به النبي – صلى الله عليه وسلم – . (البرني ، تاريخ فيروز شاهي ، ص ٢٩٥) . ومن هنا حظر في سلطنته على شرب الخمر ، واشتد على معاقبة شراب الخمر والجناة الآخرين ، حتى ابتعد الشعب عن القمار وشرب الخمر والتعامل بالربا ، والكذب والزور والتطفيف . وكان السلطان غياث الدين تغلق (١٣٢٠م – ١٣٢٥م) يقول : " لا أراعي الذين يخالفون الأحكام الشرعية ، في إجراء العقوبات عليهم " . (المرجع السابق ، ص ٤٤٣) . وكان متديناً ، ومواظباً على الصلوات ، لم يكن لأحد أن يشرب الخمر في بلاطه . وما كان السلاطين يعتبرون أنفسهم فوق القانون ، بل يحضرون في مجلس القضاء كمتهمين عاديين ، فقد حضر السلطان محمد بن تغلق (١٣٢٥م – ١٣٥١م) في مجلس القضاء كمتهم ، وقبل حكم القاضي بدون تردد . يكتب ابن بطوطة : " ادعى عليه رجل من كبار الهنود أنه قتل أخاه من غير موجب ، ودعاه إلى القاضي فسلّم وخدم ، وكان قد أمر القاضي قبل ذلك أنه إذا جاءه إلى مجلسه ، فلا يقوم ولا يتحرك ، فصعد إلى المجلس ووقف بين يدي القاضي فحكم عليه أن يرضي خصمه عن دم أخيه فأرضاه .

وادعى على السلطان مرة رجل من المسلمين أنّ له قبله حقاً مالياً ، فتخاصما في ذلك عند القاضي ، فتوجه الحكم على السلطان بإعطاء المال

فأعطاه .

وادعى عليه صبي من أبناء الملوك أنه قد ضربه من غير موجب ورفعه إلى القاضي ، فتوجه الحكم عليه بأن يرضيه بالمال إن قبل ذلك وإلا أمكنه من القصاص ، فشاهدته يومئذ وقد عاد لمجلسه واستحضر الصبي وأعطاه عصا ، وقال له : وحقّ رأسي لتضربنني كما ضربتك ! فأخذ الصبي العصا وضربه بها إحدى وعشرين ضربة حتى رأيت الكلاه (القلنسوة) قد طارت عن رأسه " . (رحلة ابن بطوطة ٣/ ١٨٢) . وكان السلطان فيروز شاه تغلق (١٣٥١م – ١٣٨٨م) يركز على تحقيق العدل ، ولا يفرق بين قريب وأجنبي في إجراء العقوبات مع مراعاة الحدود الشرعية . (شمس سراج عفيف ، تاريخ فيروز شاهي ، ص ٥٠٣ – ٥٠٨ ، كولكتا ، ١٨٩١م) . كما أنه حظر على طرق التفتيش غير الشرعية ، وأمر بتأكيد باتخاذ الحيطة في إجراء العقوبات ، واحترام النفس الإنسانية ، والمثل الإنسانية . (فيروز شاه ، فتوحات فيروز شاهي ، ص ٣ – ٤ ، عليجراه ، ١٩٥٤ ، البلغرامي ، مآثر الكرام ص ٢٦٥ ، عين الدين عين الملك عبد الله الملتاني بن ماهرو ، إنشاء ماهرو ، ص ٦٠٥ ، عليجراه ، بدون تاريخ) . كما اتخذ إجراءات عملية لتنفيذ الأحكام الشرعية ، والقضاء على الأمور المخالفة للشريعة . (شمس سراج عفيف ، تاريخ فيروز شاهي ، ص ٩٨ – ٩٩ ، كولكتا ، ١٨٩١م) وكان لا يلبس ألبسة الحرير . (التاريخ الوجيز ٢/ ١٥٤) . ويرى القاضي ضياء الدين البرني أنه لا يوجد نظير للسلطان فيروز شاه تغلق ، في أداء حقوق المسلمين ، وتنفيذ الأحكام الشرعية. (البرني ، تاريخ فيروز شاهي، ص ٥٦١) . وكان الملوك يسألون الفقهاء عن الأحكام الشرعية ، فسأل السلطان علاء الدين القاضي مغيث عن الخيانة المالية ، فأجاب أنها تدخل في باب التعزير . (برني ، تاريخ فيروز شاهي ، ص ٢٩٢) .

(للبحث صلة)

المعجمية العربية : وصف ونشأة وأنواع

(الحلقة الثانية الأخيرة)

د . قمر شعبان الندوي *

المبحث الثالث
أنواع المعاجم العربية

التمهيد :

مرت المعاجم العربية بأطوار تاريخية مختلفة ، وتنوعت أنواعها ، وتأسست على مناهج تأليفها المختلفة مدارس معجمية عديدة ، لكل منها مبادئ وأسس ، يختلف بعضها عن بعض إلى حد كبير ، فالمعاجم العربية تتألف ، وتتكون من ثلاثة أنواع على النحو المذكور أدناه :

النوع الأول – معاجم المعاني أو الموضوعات .

النوع الثاني – معاجم الأبنية .

النوع الثالث – معاجم الألفاظ أوالمعاجم المجنسة .

النوع الأول – معاجم المعاني أو الموضوعات :

وهي أسبق أنواع المعاجم العربية في التاريخ ، وهذا النوع يتكون من كتيبات ألفت ورتبت على أبواب مختلفة ، ولكل موضوع باب مستقل ، يأتي المؤلف تحت هذا الباب بمعان ، وشروح ، للمفردات ، والكلمات حول موضوع واحد ، مثلاً : " باب خلق الإنسان " ، و " باب النبات " و " باب الجمل " ، و " باب الأسد " وهلم جراً .

ونظراً إلى محتويات معاجم المعاني فقد قسمها بعض المؤلفين إلى أنواع مختلفة ، فهذا عبد المجيد الحر جعلها ستة أنواع في كتابه : " المعجمات والمجامع العربية " :

١. نمط الندرة والغرابة :

تناول هذا النوع من المعاجم شرح الألفاظ الغريبة والنادرة التي

* أستاذ مساعد ، قسم اللغة العربية ، كلية الآداب ، جامعة بنارس الهندوسية ، فارانسي ، الهند .
E-mail: q.shaban82@gmail.com
Web: www.majmaulbahs.blogspot.com

لايستخدمها العامة من الناس ، وقد اعتنى العرب بجمع هذه الألفاظ وشرح معانيها ، وبيان مدلولاتها في رسائل صغيرة تجسدت فيما بعد كتبا مستقلة ، ومن أجدرها بالذكر : " النوادر في اللغة " لأبي زيد الأنصاري .

٢. **الموضوعات والمعاني :**

وهذه هي الرسائل الصغيرة التي عالجت الألفاظ التي تتعلق بموضوع من الموضوعات أو بمعنى من المعاني ، ككتاب " الأجناس " للأصمعي ، وكتاب " المطر " لأبي زيد الأنصاري ، و " الإفصاح في فقه اللغة " [١] لعبد الفتاح الصعيدي ، وحسين يوسف موسى .

٣. **الأضداد :**

تناولت هذه الكتب الألفاظ التي وردت في معنيين متناقضين ، ككتاب " الأضداد " للأصمعي .

٤. **مثلث الكلام :**

جاءت فيه الألفاظ التي وردت على ثلاث حركات بمعان مختلفة ، على سبيل المثال : " الحَلم " (بفتح الحاء) معناه : الجلد الفاسد ، و " الحِلم " (بكسرالحاء) معناه : الوقار ، و " الحُلم " (بضم الحاء) معناه : ما يراه النائم . ومن هذه الكتب : " مثلثات قطرب " .

٥. **الأفعال ذات الاشتقاق الواحد :**

وهو ما جمع فيه أصحابه الأفعال التي تكونت من اشتقاقين بمعنى واحد ، ككتاب " فعلت وأفعلت " للزجاج .

٦. **الحروف :**

وهو ما جاءت فيه الألفاظ ، ورتبت على الحروف ، ككتاب " الهمزة " لأبي زيد الأنصاري [٢] . وقد زاد ديزيره سقال على هذه الأنواع الستة نوعاً آخر ، وهي الكتب التي اعتنت بمرادفات لغوية ، أو عبارات لها معنى واحد ، ك " فقه اللغة " للثعالبي، و " كتاب الألفاظ الكتابية " للهمذاني ،

---

[١] وهذا المعجم من تآليف العصر الحاضر ، ومؤلفاه من المتخرجين في دارالعلوم القاهرة ، ومن المدرسين في المدارس الأميرية في مصر .

[٢] عبدالمجيد الحر : المعجمات والمجامع العربية ، دار الفكر العربي ، ط : ١ ، ١٩٩٤م ، ص : ٢٠ – ٣٢ .

و " ما اختلفت ألفاظه واتفقت معانيه " للأصمعي [1] .

هذه أنواع مختلفة لمعاجم المعاني ، ومن أهم بعض هذه المعاجم التي راجت وشاعت في الأوساط اللغوية : " الغريب المصنف " ، لأبي عبيد القاسم بن سلام (٢٢٤هـ) ، و " تهذيب الألفاظ " لابن السكيت ، و " المعنى الكبير " لابن قتيبة الدينوري (٢٧٦هـ) ، و " فقه اللغة " لأبي منصور الثعالبي (٤٣٠هـ) ، و " المخصص " لابن سيده [2] ، و " غريب اللغة " للأنباري [3] ، و " كتاب معاني الحروف " للرماني .

النوع الثاني – معاجم الأبنية :

وهذا النوع من المعاجم عبارة عن جمع الكلمات على حسب البناء ، مثلاً : رتبت الكلمات التي تتكون من ثلاثة أحرف في كتاب (باب) واحد ، فقد وردت الكلمات الثلاثية مثلاً : ضرب، وقرأ، ونصر ، وأخذ ، وهلم جراً . في باب واحد مستقل . وأما الكلمات التي تتم صياغتها على وزن أفعل، مثلاً: أكرم، وأنزل، وأوقف، وهلم جراً، فهي في باب مستقل آخر .

وقد أسس بناء هذا النوع من المعجم سيبويه (١٤٠هـ/ ٧٦٠م – ١٨٠ هـ/٧٩٦ م) بتأليف كتابه الذي يقع تقريباً في ٣٠٨ أبنية للأسماء ، و ٣٤ بناءً للأفعال ، ثم تطور هذا النوع على مر العصور ، وبرز علماء ولغويون في هذا الميدان ، فظهرت مؤلفات مستقلة ، إذ كانت محاولة سيبويه بمثابة النواة الأولى في صورة رسالة صغيرة ، ولكن هذا النوع من المعجم لم يحظ باهتمام اللغويين فيما بعد ، ولم ينل القبول ، والرواج ، فلا نجد في التاريخ إلا العديد من الكتب ، وهي : " أبنية المصادر " ، للكسائي ، و " فعل وأفعل " لأبي حاتم السجستاني ، و " ديوان الأدب " ، لأبي إبراهيم إسحاق بن إبراهيم الفارابي (ت٣٨٠هـ) ، و " شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم " [4] ،

---

[1] ديزيره سقال : نشأة المعاجم العربية وتطورها ، دار الصداقة العربية بيروت ، ط :١، ١٩٩٥م ، ص : ١٤ .

[2] محمد يوسف أحمد حبلص : علم اللسان العربي ، القاهرة ، ١٩٩٦ ، ص : ٢٢٨ .

[3] نشأة المعاجم العربية وتطورها ، دارالصداقة العربية بيروت ، ط : ١ ، ١٩٩٥م ، ص: ١٦ .

[4] وقد قام بتحقيق هذا الكتاب عالم هندي وهو الدكتور عظيم الدين أحمد كرسالة للدكتوراة في جامعة ليبزك بألمانيا ، ونسخة مطبوعة لهذه الرسالة موجودة لدى الدكتور امتياز مدير مكتبة خدا بخش الشرقية العامة الأسبق ، في باتنا ولاية

لنشوان بن سعيد الحميري (ت٥٧٣هـ) ، و " أبنية الأفعال " لأبي بكر محمد بن محمد (٣٦٧هـ) ، و " أبنية الأفعال " للسرقسطي ، لأبي عثمان سعيد بن محمد (٤٠٠هـ) ، و " أبنية الأفعال لابن القطاع " ، لعلي بن جعفر (٥١٥هـ) ، و " المجلد الخامس عشر للمخصص " ، لابن سيده [١] .

النوع الثالث – معاجم الألفاظ أوالمعاجم المجنسة :

وهي أكثر المعاجم العربية شيوعاً ورواجاً في العالم ، وقد شاعت حتى الآن معاجم ضخمة بل موسوعات لغوية على هذا النوع ، ومن أشهر هذه المعاجم :

– كتاب العين ، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٠٠ – ١٧٥هـ) ، و " جمهرة اللغة " لأبي بكر بن دريد (٢٢٣ – ٣٢١هـ) ، و " تاج اللغة وصحاح العربية " لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري ، و " أساس البلاغة " لمحمود بن عمر جار الله الزمخشري (٤٦٧ – ٥٣٨هـ) ، و " لسان العرب " لابن منظور الإفريقي المصري ، و " القاموس المحيط " لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي ، و " تاج العروس من جواهر القاموس " لمحمد مرتضى الحسيني الزبيدي ، و " المعجم الوسيط " ، لمجمع اللغة العربية بالقاهرة ، و " المنجد " ، للأب لويس معلوف .

ونظراً إلى منهج التأليف ، وترتيب هذه المعاجم العربية المجنسة جعلها المحققون ، والنقاد اللغويون في مدارس مختلفة حسب الأنماط التأليفية المختلفة لها ، وهي خمس مدارس : مدرسة الترتيب الصوتي على كتاب " العين " للخليل بن أحمد الفراهيدي ، ومدرسة الترتيب الألفبائي المقلوب على " جمهرة اللغة " لابن دريد ، ومدرسة التقفية على " تاج اللغة وصحاح العربية " لإسماعيل بن حماد الجوهري ، ومدرسة الترتيب الألفبائي الجذري على " أساس البلاغة " للزمخشري ، ومدرسة الترتيب الألفبائي المنطوق على نمط المعاجم الإنكليزية ، ومعالجة هذه المدارس الخمس تحتاج إلى دراسة مستقلة .

بيهار ، الهند ، كما نشرت لكاتب هذه السطور مقالة حول حياة ومآثر عظيم الدين أحمد في مجلة " ثقافة الهند " الصادرة في دلهي عام ٢٠٠٨م .

[١] للتفصيل راجع : معجم المعاجم ، للشرقاوي ، ص : ٥٣ – ١٠٥ .

الخاتمة :

لقد درست في هذا البحث كلمتي القاموس والمعجم ومعنييهما اللغوي والاصطلاحي ، وكيف تتميز الأولى عن الأخرى ، وكيف تتماثلان ، ولماذا تستخدمان للمجموعة اللغوية التي تتناول المفردات العربية بالشرح والتحليل والاشتقاق وبيان المعاني المختلفة لها ، ثم عالجت المراحل التطورية للمعجمية العربية عبر العصور من العصر الجاهلي حتى العصر الحاضر ، وما هي أسباب التأليف المعجمي ، ومصادر المعجمية العربية ، كما وقد تناولت بالذكر وظائف المعجمية ، ومحتوياتها ، ومباحثها ، وتوصلت إلى النتائج المتجلية فيما يلي :

١. رغم أن كلمتي المعجم والقاموس تختلفان معنًى واشتقاقاً ودلالةً فإنهما تستخدمان اليوم للمجموعة اللغوية التي تتناول المفردات العربية بالشرح والتحليل والاشتقاق وبيان التطور اللغوي والتاريخي والثقافي لها مقابل كلمة إنكليزية (Dictionary) إلى جانب استخدامهما للموسوعة ، ودائرة المعارف التي تقابلهما كلمة إنكليزية (Encyclopedia) .
٢. لا زال العرب مهتمين بجمع المفردات ، وحل غريبها منذ العصر الجاهلي، ولكن فضل التأليف المعجمي يعود إلى غريبي القرآن والحديث ، ثم ظلت المعاجم العربية تبصر النور في أنماط تأليفية مختلفة .
٣. ظهرت في مختلف عصور التاريخ معاجم المعاني أو الموضوعات ، ومعاجم المباني ، ومعاجم الألفاظ ، شارحة الكلمات الواردة في القرآن الكريم ، والحديث النبوي الشريف ، والشعر العربي ، والنصوص العربية الأخرى ، ثم ظهرت معاجم عربية حديثة تشرح المفردات من مجالات : السياسة ، والطب ، والهندسة ، والعلوم والمعارف الأخرى .
٤. تؤدي المعاجم وظائف شرح المفردات ، وبيان التطور اللغوي والتاريخي للكلمات ، وبيان المترادفات والأضداد ، والتعاريف ، والمشتقات ، وبيان التعدي واللزوم ، والمعنى الحقيقي والمجازي ، والجموع والآحاد، وأبواب الأفعال المجرد والمزيد فيه ، وطرق استخدامها في الجمل مستدلاً بالنصوص العربية من العصر الجاهلي ، وعصر صدر الإسلام ، حتى العصر العباسي .

٥. تتوزع معاجم الكلمات إلى خمس مدارس للاختلاف في أنماطها التأليفية ، وهي تحتاج إلى دراسة مستقلة ، فتركتها في هذا البحث .

قائمة المصادر والمراجع :

١. ابن جني ، أبوالفتح عثمان : الخصائص ، تحقيق محمد علي النجار ، ط : ٢ ، تاريخ ومكان الطباعة غير موجودين ، الجزء : ٢ .
٢. ابن جني، أبوالفتح عثمان : الخصائص ، دارالكتاب العربي، مصر ١٩٥٧م .
٣. الباتلي ، أحمد بن عبدالله : المعاجم اللغوية وطرق ترتيبها ، الرياض ، ١٤١٢هـ/١٩٩١م .
٤. البستاني ، بطرس : محيط المحيط ، مكتبة لبنان ، ١٩٩٣م .
٥. الثعالبي ، أبو منصور : فقه اللغة وسر العربية ، بيروت ، ١٨٨٥م .
٦. حبلص ، دكتور محمد يوسف : علم اللسان العربي ، القاهرة ، ١٩٩٦م/١٤١٦هـ .
٧. الحر ، عبدالمجيد : المعجمات والمجامع العربية ، دارالفكر العربي ، ط: ١ ، ١٩٩٤م .
٨. الخطيب، الدكتورعدنان: المعجم العربي بين الماضي والحاضر ، لبنان، ط : ٢ ، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م .
٩. الخماش ، د . سالم سليمان : المعجم وعلم الدلالة ، جدة ١٤٢٨هـ .
١٠. الزبيدي ، السيد محمد مرتضى بن محمد الحسيني : تاج العروس من جواهر القاموس، بيروت ٢٠٠٧م، المجلد الثامن، الجزء السادس عشر والثالث والثلاثون .
١١. الزمخشري : أساس البلاغة ، دار صادر ، ١٩٧٩م .
١٢. سقال ، ديزيره : نشأة المعاجم العربية وتطورها ، دار الصداقة العربية ، بيروت ، ط : ١ ، ١٩٩٥م .
١٣. الشلقاني ، عبد الحميد : رواية اللغة ، دار المعارف ، ١٩٧١م .
١٤. الفراهيدي ، الخليل بن أحمد : كتاب العين ، دار الرشيد للنشر – وزارة الثقافة والإعلام العراقية ، ١٩٨٠م ، ج : ١ .
١٥. الفيروزآبادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب : القاموس المحيط ، بيروت ١٩٩٩م .
١٦. مجمع اللغة العربية : المعجم الوسيط ، طبع ديوبند بالهند ٢٠٠٠م .
١٧. المصري ، ابن منظور : لسان العرب ، بيروت ١٩٥٥م .

مزايا وفوائد الرسم العثماني

بقلم: الأخ لقمان الحكيم بن شافي *

الرسم العثماني يراد به الوضع الذي ارتضاه عثمان رضي الله عنه في كتابة كلمات القرآن وحروفه ، والأصل في المكتوب أن يكون موافقاً تمام الموافقة للمنطوق من غير زيادة ولا نقص ولا تبديل ولا تغيير ، لكن المصاحف العثمانية قد أهمل فيها هذا الأصل ، فوجدت بها حروف كثيرة جاء رسمها مخالفاً لأداء النطق ، وذلك لأغراض شريفة .

ينبغي أن يعرف أن نسبة هذا الرسم لعثمان رضي الله عنه ليس لابتكاره إياه ، أو لمخالفته الرسم الذي تم بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم وإنما يرجع سبب هذه النسبة للآتي :

أ. إنّ عثمان رضي الله عنه هو الذي نقل هذا الرسم ونسخه في المصاحف التي أمر بنسخها من الصحف التي كتبت في عهد أبي بكر رضي الله عنه وهي عين ما كتب بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم ، وعممها على الناس في الأمصار وألزمهم بها ، وأمرهم أن يحرقوا ما سواها ، فعثمان رضي الله عنه هو الذي عمم هذا الرسم النبوي وألزم الناس به ، وأزال كل رسم يخالفه .

ب. إنه رضي الله عنه وزّع للرسم النبوي على المصاحف بحيث تتحمل كل القراءات القرآنية المتواترة ، فهذه الطريقة التي تخالفت بها المصاحف العثمانية في بعض رسومها لكي تشمل الرسم النبوي بأوجه قراءته المتواترة هي التي من وضع عثمان وابتكاره .

ت. إنه رضي الله عنه كما هو مذهب جمهور العلماء من السلف والخلف ، جمع الناس على حرف واحد من الأحرف السبعة التي نزل عليها القرآن ، وهو قراءة العامة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد نزل عليه عامة القرآن ، ودون به ، فألزمهم عثمان رضي

* الباحث في جامعة دار الهدى الإسلامية، كيرالا، الهند ،

الله عنه بالرسم الذي كتب به عامة القرآن في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وترك لهم رخصة القراءة بغيره بما يوافق الرسم ، ومن هنا تعددت أوجه القراءات وأصبح من الصعب نسبة قراءة واحدة للغة من لغات العرب .

مراحل كتابة القرآن من عهد النبي صلى الله عليه وسلم إلى خلافة عثمان رضي الله عنه :

أهم المراحل في رسم القرآن ثلاث :

أ. الأولى في عهد النبي صلى الله عليه وسلم :

حيث اتخذ عدداً من كتاب الوحي لتدوين ما يتنزل عليه من القرآن الكريم وذلك بين يديه ، وبأمره وإملائه محدداً لهم موضع الآيات في سورها ؛ كما جاء في الحديث كَانَ رسولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم مما يأْتي علَيه الزمانُ وهو تنزِلُ علَيه السور ذَوات الْعدد فَكَانَ إِذَا نزلَ علَيه الشيئ دعا بعض من كَانَ يكْتب فَيقُولُ : ضعوا هؤلاءِ الآيات في السورة الَّتي يذْكَر فيها كَذَا وكَذَا . وإِذَا نزلَت علَيه الآيةَ فَيقُولُ : ضعوا هذه الآيةَ في السورة الَّتي يذْكَر فيها كَذَا وكَذَا [1] .

كان اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بكتابة الآيات بارزاً فور نزولها كما جاء عن الْبراءِ رضي الله عنه قَال : لَما نزلَت (لاَّ يَسْتَوِى ٱلْقَاعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُجَاهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّه) قَالَ النبي صلى الله عليه وسلَم : ادع لي زيداً وليجئ بِاللَّوحِ والدواة والكَتف أو الكتف والدواة ثم قَال : اكتب (لاَّ يَسْتَوِى ٱلْقَاعِدُونَ) وخلف ظهر النبي صلى الله عليه وسلم عمرو بن أُم مكتوم رضي اللَّه عنه الأَعمى قَال : يا رسول اللَّه فَما تأْمرني فإِنِّي رجل ضرير البصر فنزلت (لاَّ يَسْتَوِى ٱلْقَاعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ) [2] .

وقد توفي النبي صلى الله عليه وسلم والقرآن كله كتب بكل دقة وضبط بين يديه في الرقاع والعسب والأقتاب والكرانيف واللخاف ونحوها ، وكان كتاب الوحي يعرضون ما يكتبونه على النبي صلى الله

[1] رواه الترمذي ح رقم ٣٠١١ .
[2] رواه البخاري في كتاب فضائل القرآن ، باب كاتب النبي ، رقم ٤٦٠٦ .

عليه وسلم ويقرهم عليه ، فقد روى عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قوله : كنت أكتب الوحي عند رسول االله صلى الله عليه وسلم وهو يملي علي ، فإذا فرغت قال : اقرأ ، فأقرأه ، فإذا كان فيه سقطٌ أقامه ثم أخرج به إلى الناس [1] ، ولو كان في المكتوب أدنى ملاحظة لأخبر الله عز وجل نبيه الكريم بذلك ، وهذا لا يمنع من وجود رسم آخر لم يكتب بين يدي النبي ممن تعلموا وكتبوا بين يديه ، ولذا لم يعتمد زيد في جمعه إلا على عين ما كتب بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم .

ب. والثانية في عهد أبي بكر رضي الله عنه :

حيث جمع بعد وفاة النبي ما كتب بين يدي النبي في صحف بوساطة زيد بن ثابت رضي الله عنه ومساعدة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بطريقة غاية في الدقة والضبط ، والتحري ، والتوثيق ، وذلك بعد أن خشي أن يذهب شيئ من القرآن بذهاب حملته الذين حفظوه من فم النبي صلى الله عليه وسلم أو كتبوه بين يديه كما حدث يوم اليمامة ، كما أراد كذلك أن يجمع الناس على مصحف إمام يجمعون عليه جميعاً على أنه صورة لعين ما كتب بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم ، ومطابق لما تلقته الصحابة عنه مشافهة ، فكل ما فعله زيد هو جمعه في مكان واحد ، موثقاً بالشهود على المكتوب بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم والملقى منه مشافهة ، ولم يكتب ما علم أنه نسخت تلاوته ، فظفر جمعه هذا بإجماعهم عليه .

ت. والثالثة في عهد عثمان رضي الله عنه :

حيث قام بمهمة نسخ الصحف التي جمعت في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه إلى عدة مصاحف بوساطة لجنة كونت من زيد بن ثابت رضي الله عنه ، وثلاثة من قريش هم : سعيد بن العاص رضي الله عنه ، وعبد االله بن الزبير رضي الله عنه ، وعبد الرحمن بن الحارث ابن هشام رضي الله عنه ، وذلك بعد الاختلاف الذي وقع في القراءة ، كما جاء في حديث أَنس بن مالك رضي الله عنه قال :

إن حذيفة بن اليمان قَدم علَى عثمان رضي الله عنه وكان يغازي

[1] رواه الطبراني في المعجم الكبير .

أهل الشام في فتح إرمينية وأذربيجان مع أهل العراق فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة ، فقال حذيفة لعثمان : يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأُمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك ، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف ، وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة : إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيئ من القرآن فاكتبوه بلسان قريش؛ فإنما نزل بلسانهم ، ففعلوا ؛ حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف ، رد عثمان الصحف إلى حفصة ، وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق [1] .

مزايا الرسم العثماني :

للرسم العثماني مزايا كثيرة أبرزها ما يلي :

أ. المزية الأولى : الدلالة فى القراءات المتنوعة فى الكلمة الواحدة بقدر الإمكان ، وذلك أن قاعدة الرسم لوحظ فيها أن الكلمة إذا كان فيها قراءتان أو اكثر كتبت بصورة تحتمل هاتين القراءتين أو الأكثر ، فإن كان الحرف الواحد لا يحتمل ذلك بأن كانت صورة الحرف تختلف باختلاف القراءات جاء الرسم على الحرف الذى هو خلاف الأصل ، وذلك ليعلم جواز القراءة به وبالحرف الذى هو الأصل ، وإذا لم يكن فى الكلمة إلا قراءة واحدة بحرف الأصل رسمت به مثال الكلمة تكتب بصورة واحدة وتقرأ بوجوه متعددة قوله تعالى (إِنْ هَـٰذَانِ لَسَاحِرَانِ) [2] رسمت في المصحف العثمانى هكذا إن (هذان لساحران) من غير نقط ولا شكل ولا تشديد ولا تخفيف في نوني " إن " و " هذان " ، ومن غير ألف ولا ياء بعد الذال من هذان .

ومجيئ الرسم كما ترى ، كان صالحاً عندهم لأن يقرأ بالوجوه

[1] رواه البخاري في كتاب فضائل القرآن ، باب جمع القرآن ، رقم ٤٩٨٧ .
[2] سورة طه : ٦٣ .

الأربعة التى وردت كلها بأسانيد صحيحة ، أولها قراءة نافع ومن معه إذ يشددون نون " إن " ويخففون هذان بالألف .

ثانيها قراءة ابن كثير وحده إذ يخفف النون في " إن " ويشدد النون في " هذان " .

ثالثها قراءة حفص إذ يخفف النون في " إن " و " هذان " بالألف .

رابعها قراءة أبى عمرو بتشديد " إن " وبالياء وتخفيف النون في " هذين " فتدبر هذه الطريقة المثلى الضابطة لوجوه القراءة لتعلم أن سلفنا الصالح كان فى قواعد رسمه للمصحف أبعد منا نظراً وأهدى سبيلاً .

ب. المزية الثانية : إفادة المعانى المختلفة بطريقة تكاد تكون ظاهرة ، وذلك نحو قطع كلمة " أم " فى قوله تعالى : (أَمْ مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً) [1] ووصلها فى قوله تعالى : (أَمَّن يَمْشِى سَوِيّاً عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ) [2] إذ كتبت هكذا " أمن " بإدغام الميم الأولى فى الثانية وكتابتهما ميماً واحدة مشددة ، فقطع أم الأولى فى الكتابة للدلالة على أنها أم المنقطعة التى بمعنى بل ووصل أم الثانية للدلالة على أنها ليست كذلك .

ت. المزية الثالثة : الدلالة على معنى خفي دقيق كزيادة الياء فى كتابة كلمة " أيد " من قوله تعالى (وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ) [3] إذ كتبت هكذا بأييد وذلك للأيماء إلى تعظيم قوة الله التى بنى بها السماء وأنها لا تشبهها قوة على حد القاعدة المشهورة وهى : زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى .

ومن هذا القبيل كتابة هذه الأفعال الأربعة بحذف الواو وهي : " وَيَدْعُو ٱلإِنْسَانُ [4] ، وَيَمْحُو ٱللَّهُ ٱلْبَاطِلَ [5] ، يَوْمَ يَدْعُو ٱلدَّاعِ [6] ، سَنَدْعُو ٱلزَّبَانِيَةَ [1] " ، فإنها كتبت فى المصحف العثمانى هكذا : وَيَدْعُ ٱلإِنْسَانُ ،

[1] سورة النساء : ١٠٩ .
[2] سورة الملك : ٢٢ .
[3] سورة الذاريات : ٤٧ .
[4] سورة الإسراء : ١١ .
[5] سورة الشورى : ٢٤ .
[6] سورة القمر : ٦ .

وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَاطِلَ ، يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ ، سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ " ولكن من غير نقط ولا شكل في الجميع .

إن السر في حذفها من " ويدع الإنسان " هو الدلالة على أن هذا الدعاء سهل على الإنسان يسارع فيه كما يسارع إلى الخير بل إثبات الشر إليه من جهة ذاته أقرب إليه من الخير ، والسر في حذفها من " وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَاطِلَ " الإشارة إلى سرعة ذهابه واضمحلاله .

والسر في حذفها من " يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ " الإشارة إلى سرعة الدعاء وسرعة إجابة الداعين ، والسر في حذفها من " سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ " الإشارة إلى سرعة الفعل وإجابة الزبانية وقوة البطش .

ث. المزية الرابعة : الدلالة على أصل الحركة مثل كتابة الكسرة ياء فى قوله تعالى (وَإِيتَآءِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ) [٢] إذ تكتب هكذا (وإيتآي ذى القربى) ومثل كتابة الضمة واواً فى قوله سبحانه (سَأُرِيكُمْ دَارَ ٱلْفَاسِقِينَ) [٣] إذ كتبت هكذا " سَأُوْرِيكُمْ " ومثل ذلك الدلالة على أصل الحرف نحو " الصلاة " و " الزكاة " إذ كتبا هكذا " الصلوة " و " الزكوة " ليفهم أن الألف فيهما منقلبة عن واو .

ج. المزية الخامسة : إفادة بعض اللغات الفصيحة ، مثل كتابة لفظ " يأت " بحذف الياء لدلالة على لغة هذيل وكتابة هاء التأنيث تاء مفتوحة دلالة على لغة طيئ ، وقد جمع عثمان رضي الله عنه الناس على حرف واحد وأبقى لهم القراءة بما يتوافق مع الرسم من الأحرف السبعة الباقية ، فظلت بعض لغات العرب موجودة من خلال الرسم ، ومن هنا نفهم قوله تعالى (قُرْآناً عَرَبِيّاً غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ) [٤] لأنه بهذه المزية أصبح جامعاً لألسنة العرب .

فوائد الرسم العثماني :

أ. الفائدة الأولى : حمل الناس على أن يتلقوا القرآن من صدور ثقات الرجال ولا يتكلو على هذا الرسم العثمانى الذى جاء به غير مطابق

[١] سورة العلق : ١٨ .
[٢] سورة النحل : ٩٠ .
[٣] سورة أعراف : ١٤٥ .
[٤] سورة الزمر : ٢٨ .

للنطق الصحيح فى الجملة ، ولهذا كان السلف رحمهم االله يميزون الحفظ بالتلقي كما يقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه والله لقد أَخذت من في رسول بضعاً وسبعين سورةً [1] .

ولهذا قرر العلماء أنه لا يصلح التعويل على المصاحف وحدها ، بل لا بد من التلقي عن حافظ متقن ، وكانوا يقولون : لا تأخذوا القرآن من مصحفي ، ولا العلم من صحفي ، وذلك لأنَ بعض الكلمات كما عرفت كتبت على غير منطوقها ، كما أن فواتح بعض السور كتبت برسم الحروف لابهيئات النطق ، فلا يمكن للإنسان أن يتقن نطق مثل " كهيعص " [2] و "حم ، عسق " [3] دون التلقي والسماع من حافظ متقن .

ب. الفائدة الثانية : العصمة من الخطأ في كتابة القرآن الكريم أعظم مكتوب في الدنيا ، وذلك لأنّ الكتابة نائبة عن القراءة ، فاللحن فيها لحن في القرآن الكريم ، وفي اتباع الرسم تأمين من ذلك ، وذلك لأنّ الخير في الاتباع خاصة وقد أثبتنا أن الرسم سنة والنبي صلى الله عليه وسلم يقول : فمن رغب عن سنتي فَلَيس مني [4] .

ففي التزام هذا الرسم واتباعه الاحتياط الشديد لبقاء القرآن على أصله لفظاً وكتابةً ، لأنَ في كتابته على غير الرسم الواحد تعريض القرآن الكريم للتغيير المستمر حسب تغير القواعد الإملائية التي لم يتفق عليها واضعوها ، فهي تتغير وتتبدل وتتطور بمرور الأيام ، وذلك يؤدى للخلاف والتغيير والتبديل في رسم القرآن وتلاوته ، فالواجب الحذر من قواعد مختلف فيها ومطلوب تغييرها ، وذلك لأنّ عدم التزام رسم المصحف والخضوع لقواعد غير متفق عليها وهي عرضة للتغيير يؤدي إلى الاختلاف في نصوص القرآن ويمهد الطريق لأعداء القرآن لتحريفه .

ت. الفائدة الثالثة : المحافظة على هدي النبي صلى الله عليه وسلم وسنته، وذلك من خلال الالتزام بهذا الرسم الذي يفوح منه رائحة النبوة وشذا عطرها الطيب ، ويجعل إحساس المسلم وهو بين يدي هذا

---

[1] رواه البخاري في كتاب فضائل القرآن باب القراء من أصحاب النبي ، رقم ٥٠٠٠ .
[2] سورة مريم : ١ .
[3] سورة الشورى : ١ – ٢ .
[4] رواه البخاري في كتاب النكاح ، باب الترغيب في النكاح ، رقم ٤٦٧٥ .

الرسم أنه بين يدي أثر من أعظم أثار النبوة المباركة ، وأن عليه لكي يستروح أريجها الطيب الزكي أن يبذل شيئا من جهده وأن يهيئ نفسه ويعدها إعداداً خاصا قبل أن يضع نفسه بين يدي كتاب الله تعالى فلا يتهجم على المصحف في غير تهيؤ واستعداد للقائه .

ث. الفائدة الرابعة : زيادة الأجر والثواب للمجتهدين من أبناء هذه الأمة فهنالك من العلماء من ظلوا يبحثون في هذا الموضوع ويهتمون به لسنوات عديدة ، فهذا يدل على اهتمامهم بالقرآن الكريم ، واتصال فكرهم به ، ولأنَ هذا الرسم نتج عنه اختلاف في أوجه القراءات ، وأسرار ودقائق في علم المعاني والإعجاز ، وهذا يتطلب جهدا مضاعفا للإلمام بها والمحافظة عليه ، ويترتب على هذه الجهود زيادة أجر وثواب عظيم بمشيئة الله تعالى .

ج. الفائدة الخامسة : إدراك فضل علم السلف الصالح . وذلك بوقوف المسلمين على كيفية كتابة المصاحف في ابتداء الأمر ، ومعرفتهم لهذا الرسم المعجز تماما كنظم القرآن ، وتيقنهم بعظيم فضل الصحابة في علم الهجاء خاصة ، وثقوب فهمهم في تحقيق كل علم ، وقيل إن جهل الناس بأوليتهم وكيفية ابتداء كتابتهم سبب عدم اتباع رسم المصحف ، بل تغييره بعد في ميزان العلم خسران .

المصادر والمراجع :

١. دراسات في علوم القرآن د . فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي .
٢. رسم المصحف ونقطه ، للدكتور : عبد الحي حسين الفرماوي .
٣. البرهان في علوم القرآن ، للزركشي .
٤. مناهل العرفان فى علوم القرآن للشيخ محمد عبد العظيم الزرقانى .
٥. منجد المقرئين لابن الجزري .
٦. الكواكب الدرية لمحمد بن خلف الحسيني .

صور وأوضاع

تغيُّر منابع القوة العالمية

الأستاذ محمد واضح رشيد الحسني الندوي

كان يقال عند غزو أمريكا لأفغانستان عسكرياً إن هذا الإجراء مقدمة لإنفكاك أمريكا كقوة عالمية ، وقد سبق أن واجهت هذه العاقبة بريطانيا التي غزت أفغانستان خلال استيلائها على القارة الهندية ، فلقيت هزيمة ، ثم أجبرت على الخروج من مستعمراتها ، ثم ارتكبت روسيا هذه الجريمة في عهد كبريائها وسيطرتها على العالم كقوة عالمية ثانية؛ يحسب لها حساب ، ولها وزن في تقرير مصير الأمم ، ولكنها بعد مدة طويلة حاولت فيها إبقاء سيطرتها في أفغانستان ، أجبرت على الخروج ، وكان هذا الخروج مقدمة لانفكاكها كقوة عالمية؛ فاندثر كيانها ، وخرجت بقاع عديدة من سلطتها ،وأدت هذه العملية إلى انعزالها .

وتولت أمريكا السيطرة على العالم ، واعتبرت نفسها سيد العالم؛ تجبر الأمم المختلفة على الخضوع لرغباتها ، وادعت بفرض "نظام عالمي جديد" أو"العولمة" التي كانت تسمى بـ "الأمركة" وهددت الأمم بالمصير المشؤم إذا لم ترضخ لأوامرها ،و بلغت أوج كبريائها وغرورها وتكبُّرها عند حادثة الانفجار في نيويورك ، فادعى الرئيس الأمريكي " جورج بوش " أنه يستطيع أن يحارب سبعة بلدان ، وأن لديه قوة كافية لهذا الإقدام العسكري ، وأنه سيغير خريطة العالم حسب مصلحة بلاده ، فدخلت في أفغانستان ، وأظهرت بريطانيا وروسيا رأيهما أن غزو أفغانستان له تاريخ مرير ، ولديهما تجربة لذلك .

ولكن الرئيس الأمريكي " جورج بوش " كان في ذلك الوقت في حالة سكر وثقة زائدة بالنفس والعدة ، اعتماداً على قوته العسكرية ، وعدم وجود من يتحداه ويقاومه ؛ فهدد من اختلف معه أو تردّد في تائيده ، بعاقبة وخيمة ، وقد هدد باكستان إذا لم تؤيد الإجراء الأمريكي بأنها ستعود إلى عهد القرون الماضية ، وقد كانت بريطانيا وفرنسا في حالة شيخوخة وهرم ؛ أنهكتهما الحروب ؛ ولكن الشعب الأفغاني الباسل

الذي واجه القوتين العالميتين في السابق ، واجه القوة العالمية الثالثة كالسابق ، ويصدق ذلك الوضع الراهن في أفغانستان .

وفي نشوة غزو أفغانستان تدخلت أمريكا في العراق وأسقطت نظامه بحجة أن العراق يملك أسلحة ذات دمار شامل ، ولم يثبت هذا الدليل للهجوم في التحقيقات الدولية ، وقد اعترف رئيس وزراء بريطانيا السابق بأن هذا الدليل للهجوم لم يكن مبرراً للهجوم ، ولم تستطع روسيا التي كانت من أصدقاء العراق وحامية له أن تقاوم هذه العملية العسكرية ، فقد تغير النظام في العراق ، وظهر عدم صلاحية أمريكا في إقرار الأمن والسلام والنظام ، ولا يزال العراق يتجرع مرارة هذه العملية العسكرية .

وفي أيام الثورة العربية تدخلت القوة العالمية الوحيدة " ناتو " بقيادة أمريكا في ليبيا الاشتراكية ولم تتدخل روسيا ولازمت الصمت ، وقد تغير النظام السياسي في ليبيا ، ولا يزال الوضع السياسي غير مستقر في البلاد ، ولم يقم نظام سياسي جديد ، ولا تزال تحدث العمليات العسكرية في ليبيا ،ثم حدثت ثورة في سوريا وأيدتها أمريكا وأصدقاؤها ، ولكن الوضع اليوم غير الوضع بالأمس؛ فقد استقرت روسيا واستعادت قوتها بقيادة بوتين ، وتغيرت سياسة بلاده ، وظهر الوهن والاستكانة في موقف أمريكا لتدهور الوضع الاقتصادي ، وضعف أصدقائها الذين كانوا يؤيدونها ، فلم تقاوم روسيا قرار الأمم المتحدة للتدخل في سوريا؛ بل استخدمت سائر وسائلها في دعم النظام القائم ، وإحباط المساعي لحل الأزمة بتغيير النظام ، وقد ظهر أثر تراجع أمريكا عن موقفها لدعم نظام أو إسقاطه ببقاء الأزمة في سوريا ، واستمرار الصراع وتضخُّم الخسائر في الأرواح ، وهكذا تستمر الأزمة في مصر حيث حل نظام عسكري محل نظام عسكري ، وألغيت نتائج الانتخابات ، وأيدت روسيا بصراحة وسرعة هذا الإجراء ، وبذلك يستمر الصراع في مصر .

ويدل كل ذلك على أن أمريكا في حالة ضعف واستكانة ؛ كما كان المراقبون السياسيون قد تكهنوا عند غزو أفغانستان ، ويظهر هذا الضعف في موقف أمريكا إزاء كوريا الشمالية التي تهدد أمريكا كل يوم بالهجوم ، ولكن أمريكا عاجزة عن مواجهة هذه التهديدات كما كانت الصين الشيوعية في السابق تهدد أمريكا وتوجه إليها إنذارات ،

ثم حلّ هذا الوضع العدائي بزيارة كيسنجر السرية المفاجئة إلى الصين والاعتراف بها وقبولها في مجلس الأمن للأمم المتحدة محل فارموسا .

ويبدو من مواقف أمريكا المرتبكة أن أمريكا في موقف التردد وعدم صلاحية اتخاذ القرار ، وبذلك يفكر كل من كان يعتمد على أمريكا ، في إعادة النظر في سياسته إزاء أمريكا ، ويعني ذلك أن موقف أمريكا كسيد العالم ، بدأ ينهار ، ويبدو ذلك من تصاعد عمليات العنف والقتل الجماعي ، وتصاعد الصراع بين السود والبيض ، ووقوع الاشتباكات بينهما ، كما يظهر من الخلافات الشديدة بين تصريحات الرئيس الأمريكي الجديد دونالد ترامب وبين تصريحات مساعديه ، وهي تظهر كل يوم وتنقلها الصحف عن المواقف المتغيرة إزاء عدد من البلدان .

في مثل هذا الوضع لا يمكن أن يقال أي قوة عالمية تملك صلاحية فرض سيطرتها وحل القضايا العالمية وكذلك تبقى القضايا العالمية في عدد من دول العالم بدون التوصُّل إلى حلّ ، منها أفغانستان والعراق وسوريا خاصة ، وأخيراً تهدد كوريا الشمالية القوة العالمية ، ويخشى أن تقع الحرب بينهما ، وتستمر المأساة الإنسانية في مختلف دول العالم ، ويكمن في ذلك خطر انتعاش القوة الاشتراكية السابقة وتدخُّلها في شؤون العالم من جديد .

إن غلبة قوة عالمية واحدة في العالم تشكل خطراً للأمن العالمي ، وقد كان في السابق عالم اشتراكي ، وعالم رأسمالي ، ثم ظهر عالم ثالث للدول الأفروآسيوية ، وقد شهد العالم تأثير غلبة قوة عالمية واحدة وتأثير الصراع بين قوتين عالميتين ، وتبقى الأزمات والصراعات ، ولا يحل هذا الوضع إلا وجود قوة ملتزمة بالأهداف والمثل الإنسانية ، تميز بين الحق والباطل ، والظالم والمظلوم ، وقد فقدت منظمة الأمم المتحدة تأثيرها في حل الأزمات والصراعات بدون تدخل خارجي ، فيحتاج الوضع إلى إحيائها لتقوم بدورها الوسيط .

إن القضية الأساسية اليوم هي الأمن والنظام والالتزام بالقيم والآداب ؛ فقد انعدم الأمن في العالم كله ، وخاصة في الدول الإسلامية التي أصبحت فريسة للصراع بين القوى الكبرى وعدم صلاحيتها لحل الأزمات والصراعات ، ويكلف ذلك سفك دماء الأبرياء ؛ من الأطفال والنساء ، ليس في منطقة واحدة كسوريا ومصر والعراق ، واليمن

وميانمار ؛ بل في الدول الأخرى أيضاً ، ويبدو أن هذا الوضع لعدم الاستقرار والأمن أن يتطور ويدخل في الدول الآسيوية الأخرى ، فأصبح الإنسان اليوم أرخص شئ ومحروماً من الوقاية وحفظ كرامته ، وقد صدق ما أشار إليه القرآن الكريم : "ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ" [الروم : ٤١] برغم كل ادعاء في تقدم العلم والحضارة والتكنولوجيا ، وإن سلوك الإنسان اليوم لا يختلف عن سلوك الإنسان في القرون المظلمة ، وصدق الشاعر الحكيم محمد إقبال حيث يقول :

" لقد تضخَّم العلم ، وتقدَّمت الصناعة في أوروبا ، ولكنها بحر الظلمات ، ليست فيه عين الحياة ، إن أبنية مصارفها تفوق أبنية الكنائس في جمال البناء ، وحسن المظهر والنظافة ، إن تجارتها قمار يربح فيه واحد ، ويخسر ملايين ، إن هذا العلم والحكمة والسياسة والحكومة التي تتبجح به أوروبا ، مظاهر جوفاء ، ليست وراءها حقيقة ، إن قادتها يمتصون دماء الشعوب ، وهم يلقون درس المساواة الإنسانية ، والعدالة الاجتماعية ، إن البطالة والعري وشرب الخمر والفقر ، هي فتوح المدنية الإفرنجية ، إن الأمة التي لا نصيب لها في التوجيه السماوي ، والتنزيل الإلهي ، غاية نبوغها تسخير الكهرباء والبخار ، إن المدنية التي تتحكم فيها الآلات ، وتسيطر فيها الصناعة ، تموت فيها القلوب ، ويقتل فيها الحنان والوفاء ، والمعاني الإنسانية الكريمة " .

ويقول : " إن شعار الحضارة الحديثة الفتك ببني آدم ، الذي تقوم عليه تجارتها ، وتنفق سلعتها ، ليست هذه المصارف العظيمة إلا وليدة دهاء اليهود الأذكياء ، الذي انتزع نور الحق من صدور بني آدم ، إن العقل والحضارة والدين حلم من الأحلام ما لم يعد هذا النظام رأساً على عقب " .

إن العزة والكرمة تتغير ، وليست ملكاً لقوة أو حركة ، هذه سنة الله في الكون وقد جاء في القرآن الكريم " وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ " [آل عمران : ١٤٠] وكانت بريطانيا وفرنسا وألمانيا من القوى العالمية التي كانت تسيطر على سياسة العالم وأصبحت اليوم حديث الماضي ، وفي ذلك درس لكل من تخدعه القوة والسلطة أن القوة والسلطة متغيرات لا تدوم لأحد .

إلى الإسلام من جديد

إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت

محمد فرمان الندوي

الإسلام دين الفرد والاجتماع ، دين الوحدة والجماهير ، دين جعله الله تعالى لصالح الإنسانية ، فهو كسفينة نوح ، من ركبها نجا ، ومن لم يركبها غرق ، دين كله خير ونفع ونجاة ، وفقدانه ظلم وجور وخسارة ، دين يأمر الله سبحانه بالاعتناق بكامله ، قال تعالى : يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ(البقرة : ٢٠٨)

كل مجتمع يتكون من عنصرين مهمين : أحدهما : الفرد ، ثانيهما : الجماعة ، بل الواقع أن المجتمع يتركب من الأفراد ، أما الجماعة فهي مجموعة منها ، فإذا صلح الأفراد صلح المجتمع ، وإذا فسد الأفراد فسد المجتمع ، وكان جُمّاع الأمراض والعاهات ، واستشرى مرضه وتعدى خطبه إلى الآخرين ، فعادت تبعته عليه ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تُقتل نفس ظُلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفل منها ، لأنه أول من سنَّ القتل ، من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها ، ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها . (رواه البخاري : ٣٣٣٦) .

فإذا كان أفراد المجتمع مطلعين على الإيمان بالله ، والعدل والإنصاف ، والعلم الإلهي ، وأداء كل ذي حق حقه ، وإكرام كل كبير وصغير ، ورعاية حقوق الآخرين ، وكانوا متحلين بالصفات النبيلة كان المجتمع الإنساني طاقة زهر لا شوك فيه ، وباقة ورود تتفتح منها البراعم الإيمانية ، وإذا كان الأمر بالعكس كان المجتمع ناراً تتأجج ، وشعلة تشتعل ، وكان وصمة عار وشنار على جبين الإنسانية ، قال الله تعالى : وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَـٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (التوبة : ٧١) .

ذكر الله تعالى مبادئ سديدةً وأسساً قويمةً لإصلاح الأفراد والمجتمع في سور متعددة : من النساء والنور والأحزاب والحجرات والطلاق وغيرها ، فهاتان السورتان (النور والحجرات) خاصة مهمتان في هذا الباب ، إن سورة النور تتحدث عن أمراض المجتمع وتلقي ضوءً كاشفاً على الآداب الاجتماعية ، وتشتمل على أصول وقواعد لا يستغني عنها أي مجتمع إنساني ، قال الله تعالى : سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَآ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ، كما تشتمل على حدود الزنا واللعان والإفك ، وتغطي جوانب الحياة الاجتماعية مثل غض البصر وتزويج الأيامى وعدم اتباع الشيطان ، والاستئذان وقت دخول البيت ، وفكرة استخلاف الأرض ، والأهم المهم أن الله تعالى نور السماوات والأرض ، وهو ينوِّر الكائنات ، وينوِّر قلب الإنسان . يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَآءُ ، وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ .

وهناك سورة باسم سورة الحجرات ، وهي سورة مدنية ، وتشتمل على ثماني عشرة آية ، ونزلت هذه السورة بعد صلح الحديبية ، وهي دستور كامل للحياة ، وتتحدث عن الحياة الفردية ، وتتحدث عن أمراض الأفراد ، وتتناول ذكر أمراضها ، كما تقدم حلاً شافياً لهذه الأمراض .

تتلخص السورة في عدة نقاط :

(١) احترام كل ما جاء من عند الله تعالى ، وما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم . (٢) تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم ، وذلك باحترام سنته . (٣) يجب التثبت في الأخبار حتى لا يؤدي عدم التثبت في الأخبار إلى نتائج سيئة وآثار ضارة بالأفراد مثل القتال والخصام ، قال الله تعالى : يَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ ..... (٤) السورة تتحدث عن قسمين اثنين من الناس : قسم حاضر ، وقسم غائب من المسلمين ، أما القسم الحاضر من الناس فينتسب إليه مرض السخرية و التنابز بالألقاب ، قال الله تعالى: يَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ لاَ يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُواْ خَيْراً مِّنْهُمْ وَلاَ نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْراً مِّنْهُنَّ ..... أما القسم الغائب فينتمي إليه الظن السيئ له والغيبة وتجسس لكشف عورات المسلمين وفضح أسرارهم . قال تعالى : يَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيراً مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلاَ تَجَسَّسُواْ وَلاَ يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ . (٥) تتحدث السورة عن التفاضل بين الرجل والمرأة بالتقوى . قال تعالى : يَأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عندَ ٱللَّهِ أَتْقَاكُمْ . (٦) تتناول السورة الشكر على نعمة الإيمان والهداية إلى طريق الخير . قال تعالى : إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ آمَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ وَجَاهَدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَـٰئِكَ هُمُ ٱلصَّادِقُونَ .

لن يصلح الفرد والمجتمع إلا إذا كان عنده نفور تام من الذنوب والمعاصي ، والتزام قوي بالآداب الإسلامية ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فإن هذه الآداب تُمهِّد الطريق نحو بناء حياة الفرد والمجتمع . وروي عن النعمان بن بشير عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : مثل القائم في حدود الله والواقع فيها كمثل قوم أسهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها ، وبعضهم أسفلها ، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم ، فقالوا : لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ، ولم نؤذ من فوقنا ؟ فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا وهلكوا جميعاً ، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً (سنن الترمذي : ٢٠٣٢).

ولا شك أن الالتزام بالشريعة يصل بالمرء إلى مدارج عالية ومراتب رفيعة من التقرب إلى الله ، وينشئ في داخله نوراً وهدى . قال الله عز وجل : يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ . (الأنفال : ٢٩) . وهذا الفرقان لا ينال الإنسان إلا بإصلاح نفسه ومجتمعه ، فالإصلاح هو العمدة في إحراز كل خير وسعادة ، وكان هذا وظيفة الأنبياء السابقين ، قال الله تعالى على لسان هود : إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ ٱلإِصْلاَحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِيۤ إِلاَّ بِٱللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ . (هود : ٨٨) .

قرأت لك

مفردات القرآن للعلامة السيد سليمان النّدوي

جمع وتعريب : الأستاذ الدكتور محمد فرمان الندوي

الأخ محمد معصوم السيفي

وقع بصري على مؤلَّف قيم باسم مفردات القرآن للعلامة السيد سليمان الندوي ، وهو يتحدث عن كلمات القرآن الكريم ومعانيه ، ويغطي ٣٦٨/ صفحة من القطع المتوسط، والكتاب يتحلى بمقدمة علمية من العلامة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي (أطال الله بقاءه) ، قام بإعداده الأستاذ الدكتورمحمد فرمان الندوي (أستاذ التفسير والأدب العربي بكلية اللغة العربية وآدابها بجامعة ندوة العلماء) انتقاء من كتابات العلامة السيد سليمان الندوي ، ثم نقله إلى العربية ، وقد نشر الكتاب بكامله في مجلة البعث الإسلامي في خمسين حلقة ، برعاية كريمة من أستاذنا أديب العربية الشيخ الدكتور سعيد الأعظمي الندوي حفظه الله تعالى ، واهتم بطبعه هذا العام المجمع الإسلامي العلمي ، بلكناؤ (الهند) .

ولا شك أن الشيخ السيد سليمان الندوي من كبار علماء القرن العشرين الميلادي في الهند ، وكان محققاً عبقرياً ، ومؤرخاً عظيماً ، ومن كبار مؤلفي السيرة النبوية ، ومع كل ذلك كان له ذوق قرآني خاص ينقطع عنه النظير ، شهد بذلك سماحة العلامة الإمام الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني في بعض محاضراته ، وكانت دراساته القرآنية عميقةً ودقيقةً ، ذلك لأنه درس اللغة العربية وآدابها والبلاغة ، والإعجاز القرآني دراسةً واعيةً ، فأتى بنكت علمية ومفاهيم رائعة ، ومن منهج تفسيره أنه كان يفسِّر القرآن بالقرآن ، ثم بالحديث النبوي الشريف ، ويستخرج من فواصل الآيات نكتاً علميةً لطيفةً ، ويهتمّ بربط الآيات والسُّور ، ويدقق النظر في عمود القرآن فيأتي بخلاصة السُّور في جمل وكلماتٍ ، ويقوم بتحقيق الألفاظ فيرجعها إلى نصابها ، ويملك براعةً تامةً في استخراج النكت العلمية النادرة من آيات القرآن الكريم ، فللاطلاع على مناحي هذا الكتاب لابد من دراسة الكتاب دراسة متأنية ، نذكر هنا طرفاً من النكت التفسيرية .

فيذكر تحت أسماء الله الحسنى :

(١) أنها لا تنحصر في تسعة وتسعين اسماً بقوله صلى الله عليه وسلم : ما علمنا به وما لم نعلم ، (٢) أسماء الله تقسم إلى ثلاثة عناوين : الجمال ، والجلال ، والكمال ، (٣) إن اسم الرحمن ليس اسم صفة ، بل هو اسم ذات كما قال تعالى : قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَـٰنَ (٥٢ – ٦٠) .

ويقول عن آزر (والد إبراهيم عليه السلام) : إن التوراة ذكرت اسمه تارحا وذكر القرآن آزر ، فهناك ثلاث وجهات في هذا الاسم : (١) كان لآزر اسمان : آزر وتارح ، (٢) آزر وصف أو لقب ليسا اسماً ، (٣) آزر كان اسماً لصنم تارح (٦٩ – ٧٠) وتحدث عن كلمة قريش : معناها : الكسب وحصول الرزق ، وهي لقب فهر ، وكانت حرفته تجارة فسمي بها ، ذكر القرآن ثلاثة رجال من قريش مواليها : محمد صلى الله عليه وسلم وأبو لهب وزيد بن حارثة (٩٧ – ١٠١) .

ويحقق كلمة أطاق ، فيذكر جميع الأقوال الواردة في كتب التفسير ، ويقول : هذه الأقوال نشأت بعدم تحقيق الكلمة ، فينقل معنى هذه الكلمة من القواميس : فيقول : أطاق معناها مباشرة عمل بصعوبة ، ويؤيده قول الله في البقرة ٢٨٦) ، ثم يقول : هناك نوعان من المعذورين : نوع موقت ، فحكمه في قوله تعالى : فَمَن كَانَ منكُم مَّرِيضاً أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ، ونوع للمريض مؤبد فحكمه في قوله تعالىَ : وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ (١٢٧ – ١٢٩) .

هكذا شرح مأة وثلاثين كلمة مفردة – وكل ذلك بدقة وإمعان – يقول نجله الشيخ السيد سلمان الندوي : الفهم الصحيح لمعاني القرآن الكريم موهبة من الله ، ولا تحصل إلا بالفكر السليم والقلب السليم ، وقد منح والدي الجليل ذوقاً عالياً لفهم القرآن الكريم . (ص : ١١) .

يحتوي هذا الكتاب على شرح وتفسير أسماء الله الحسنى ، وأسماء القرآن ، وأعلام القرآن ، وأمم القرآن ، وأمكنة القرآن ، وكلمات القرآن وغير ذلك مما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين .

شكر الله مساعي الأستاذ محمد فرمان الندوي الذي اقتطف من جميع مؤلفات وكتابات ودراسات ورسائل الشيخ السيد سليمان الندوي لآلي متناثرة ، ودرراً بهية ، ثم جمعها ورتبها لدارسي القرآن الكريم . ندعو الله تعالى أن يضفي عليه مسحة القبول .

المدارس والجامعات وأثرها في المحافظة على الشخصية الإسلامية للشيخ الدكتور سعيد الأعظمي الندوي – حفظه الله –

الأخ محمد حمزه خان

تمّ أخيرًا تأليف كتاب باسم " المدارس والجامعات وأثرها في المحافظة على الشخصية الإسلامية " بقلم أستاذنا الشيخ الدكتور سعيد الأعظمي الندوي [مدير دارالعلوم لندوة العلماء ورئيس تحرير مجلة " البعث الإسلامي "].

هذا الكتاب يشتمل على أبواب أربعة هي في الحقيقة مجموعة بحثين ، قام بإعدادهما المؤلف للتقديم في المهرجان الثقافي المنعقد بسوق عكاظ في الفترة ما بين ٢٤ و

٢٧ من شهر ربيع الأوّل لعام ١٤٣٦هـ ، وفي الندوة العالمية المنعقدة بسري لانكا في ١ – ٢ من شهر شعبان لعام ١٤٣٨هـ ، وذلك حول : الواقع الإسلامي والتحديات المعاصرة .

فأشار في الباب الأوّل من الكتاب إلى أن بناء الإنسان الروحي لا يتم إلا بتغذية الروح بزاد من العقيدة والإيمان والتقوى ، وبناؤه العقلي يتحقق بالعلم فإنه هو الذي يغذي العقل ويربيه ويشحذه ويجعله عقلاً ناضجًا ، وأما بناؤه الجسمي فهو يتم بأعمال كثيرة مثل الفروسية ، كما ذكر أمورًا يتوخاها الإسلام في بناء حياة الإنسان بناءً متكاملاً فقال : " تولى الإسلام بناء حياة إنسانية كريمة تسود فيها العقيدة ويغطيها الإيمان وتحكمها الشريعة الإلهية وتنميها الأعمال الصالحة وتراعيها الأخلاق الفاضلة " . [ص : ١٥]

وأما الباب الثاني فقد استعرض فيه تاريخ المدارس الإسلامية في الهند بوجه خاص ، فقال : " إن تاريخ المدارس في الهند يرجع إلى الملك شهاب الدين الغوري الذي فتح أجمير ، وأنشأ فيها مدارس عديدة ، ثم وسع نطاقها قطب الدين أيبك عام ٥٨٩هـ ، فأسس مدرسة عظيمة بمدينة دهلي ، وخلفه شمس الدين التمش ، فبنى مدرسةً سمّاها " المدرسة الناصرية " ثم أنشئت مدارس ومعاهد في مدن متعددة في الهند . [ص : ٤٧] وفي الباب الثالث تحدث عن جامعات الهند العصرية واعتنائها باللغة العربية ، فقال : " إن هذه الجامعات قد ساهمت في ترويج اللغة العربية وآدابها على أوسع نطاق ، وإن غايةٍ تدريس اللغة العربية فيها هي إتقانها " [ص : ٥٤] . وذكر على سبيل المثال عدداً كبيراً من الجامعات العصرية في الهند .

والباب الرابع يشتمل على بيان مناهج التعليم في الهند ، فقد قام المؤلف باستعراض أدوارها الأربعة بذكر المقررات الدراسية في ضوء كتاب " المناهج الدراسية في الهند وتطوراتها " للعلامة السيد عبد الحي الحسني ، وأشاد بجهود ندوة العلماء في إصلاح المنهج الدراسي على لسان سماحة العلامة الشيخ الندوي – رحمه الله – حيث قال : قادت ندوة العلماء حركة تغيير المناهج الدراسية وتكللت جهود القائمين بها بالنجاح ، وأخذت المعاهد تعيد النظر في مقرراتها الدراسية وتجري تعديلات جوهرية فيها . [ص : ٦٤] .

وفي آخر هذا الباب أشار إلى أمور مهمة تتعلق بأهداف اللغة العربية وطرق تعليمها بأسهل أسلوب ، وخاتمة هذا الكتاب هي مسك الختام ، ففيها إرشاد إلى اختيار طريق أيسر للمحافظة على الشخصية الإسلامية ، ألا وهو الاعتزاز بالحضارة الإسلامية والعادات الإسلامية وتعاليم الإسلام ، والازدراء بكل ما يعاكسها من حضارات وعادات وتعاليم . يتحلى هذا الكتاب بمقدمة صاحب الكتاب ، كما قام بتعريف خلفية البحثين اللذين سبقت الإشارة إليهما الأستاذ الدكتور محمد فرمان الندوي [أستاذ كلية اللغة العربية وآدابها بدارالعلوم لندوة العلماء] ، وقامت بطبع الكتاب ونشره وتوزيعه مكتبة الفردوس ، لكناؤ (الهند) .

إلى رحمة الله تعالى

(١) الأخ محمد فيضان الندوي إلى رحمة الله تعالى

غادر الأخ الكريم محمد فيضان الندوي إلى رحمة الله تعالى بطريق مفاجئ عقب نزيف في الدماغ سبب وفاته في ١٢/ من شهر محرم لعام ١٤٣٩هـ الموافق ٢٠١٧/١٠/٤م بالرغم من أنه نقل للعلاج إلى مستشفى الجامعة الطبية الكبير ، وأشرف على معالجته فريق من الأطباء الإخصائيين ، ولكن قدر الله كان مقدوراً ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كان الراحل العزيز شقيق الشيخ محمد رضوان الندوي (رحمه الله تعالى) أحد أساتذة دارالعلوم لندوة العلماء في فترة ماضية ، وكان جامعاً بين دراسته في جامعة ندوة العلماء والجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

أما الأخ العزيز محمد فيضان فكان من خريجي دارالعلوم لندوة العلماء ، وكان مشغولاً بالتجارة في مدينة لكهنؤ وموفقاً في عمله التجاري ومحبباً لدى الناس ، ونحن إذ نعزي أعضاء أسرته من الأهل والأبناء والإخوة الأشقاء ، ندعو الله سبحانه بأن يتغمده برحمته الواسعة وغفر له زلاته وأكرم نزله في جنات ونعيم وألهم أهله وأعضاء الأسرة كلهم الصبر الجميل .

(٢) الشيخ إدريس أحمد الندوي في ذمة الله تعالى

في ٢٤/ من شهر محرم ١٤٣٩هـ الموافق ١٦/ من شهر أكتوبر/٢٠١٧م غادر إلى رحمة الله تعالى الشيخ إدريس أحمد الندوي ، أحد العلماء المتخرجين من دارالعلوم لندوة العلماء في السبعينيات من القرن المنصرم ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، وهو الذي بعث شقيقه الشيخ برجيس أحمد الندوي إلى دارالعلوم ندوة العلماء بعد تخرجه منها ، حيث تخرج هو كذلك من كلية اللغة العربية وآدابها ، وأصبح ضمن أساتذة دارالعلوم لندوة العلماء ، وظل على منصبه إلى مدة لا بأس بها ، وتخرج عليه أجيال من طلبة العلم ، وقد أصيب بمرض مارس علاجه لدى الأطباء المعروفين ، ولكنه استجاب نداء ربه ، (فإنا لله وإنا إليه راجعون) .

أما الشيخ إدريس أحمد فإنه اشتغل في وطنه بعمل التعليم والتربية رغم انحراف صحته إلى آخر لحظات الحياة ، ندعو أن يرحمه الله تعالى

رحمة واسعة وغفر له وأكرم نزله في جنات ونعيم وألهم أهله وذويه الصبر والسلوان .

(٣) الحاج غني أحمد والد الشيخ عقيل أحمد الأعظمي إلى رحمة الله تعالى

انتقل إلى رحمة الله تعالى الحاج غني أحمد والد الشيخ عقيل أحمد الأعظمي أستاذ الفقه والحديث بمدرسة دارالعلوم في مديرية مئو في ١٦/ من شهر محرم لعام ١٤٣٩هـ المصادف ٤/ من شهر أكتوبر ٢٠١٧م ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كان الحاج غني أحمد من أسرة كريمة في بلدة مئو ، كان يمارس مهنة التجارة ، ولكنه بعث ابنه العزيز عقيل أحمد إلى المدرسة العالية دارالعلوم الإسلامية حيث تخرج منها في العلوم الإسلامية ثم عين مدرساً في نفس المدرسة .

كان نبأ وفاة والده الراحل صدمة للناس ، إنه كان مريضاً منذ مدة ورغم معالجات كثيرة لم يكتب له الشفاء واستأثرت به رحمة الله تعالى .

ونحن إذ نعزي الشيخ عقيل أحمد على حادث وفاة والده نبتهل إلى الله تعالى أن يتغمده بواسع رحمته وغفر له زلاته ، وأنزله منزلاً مباركاً في جنات ونعيم ، وألهم أهله وذويه الصبر الجميل .

(٤) والدة الدكتور مسعود الأعظمي إلى رحمة الله تعالى

فقد الأخ العزيز الدكتور مسعود الأعظمي والدته العزيزة في ٢١/ من شهر محرم لعام ١٤٣٩هـ المصادف ١٤/ من شهر أكتوبر ٢١٠٧م ، وذلك في مديرية مئو بولاية أترابراديش ، حيث تقيم أسرة الدكتور مسعود الذي يعمل كأستاذ في المعهد العالي للعلوم الإسلامية الذي كان قد أنشأه المحدث الكبير العلامة حبيب الرحمن الأعظمي رحمه الله تعالى ، منذ نصف قرن من الزمان ، وأسس فيه مكتبة علمية كبيرة تحتوي على نوادر الكتب الإسلامية خطية ومطبوعة ، وكانت الراحلة العزيزة بنية العلامة الأعظمي الصغيرة وشقيقة فضيلة الشيخ رشيد أحمد الأعظمي .

ونحن إذ نعزي الدكتور مسعود ووالده الحاج سعيد أحمد وجميع إخوته وأعضاء أسرته نتضرع إلى الله تعالى أن يدخلها في رحمته الواسعة ، ويغفر لها ، ويكرمها بالجنات والنعيم ، ويلهم الجميع الصبر الجميل . والله ولي المتقين .